الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة السابعة والثلاثون
ربيع الآخر١٤٤٤ هـ - تشرين الثاني٢٠٢٢م
العدد
٤٣٥

كلمة الوعي

اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان و(إسرائيل) هو اتفاق تطبيعي وجزء من خطة صياغة أمريكا للمنطقة

من هو الحاكم؟ لمن الحق في التشريع؟ لله تعالى أم للإنسان؟

ثائر سلامة، أبو مالك

المشكلة الاقتصادية والسياسة الاقتصادية... ومكافحة الفقر

الأستاذ أحمد القصص

العلماء: بين وراثة الأنبياء، ووراثة المال وحب السلطان

سليمان المهاجري

النظام الاقتصادي الأمثل (تعريف بالنظام الاقتصادي في الإسلام) (٥)

د. محمود عبد الهادي

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد
٤٣٥

السنة السابعة والثلاثون
ربيع الآخر ١٤٤٤هـ
تشرين الثاني٢٠٢٢م

المحتويات

- كلمة الوعي: اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان و(إسرائيل) هو اتفاق تطبيعي وجزء من خطة صياغة أمريكا للمنطقة ٣
- من هو الحاكم؟ لمن الحق في التشريع؟ لله تعالى أم للإنسان؟ ٦
- النظام الاقتصادي الأمثل (تعريف بالنظام الاقتصادي في الإسلام) (٥) ١٥
- المشكلة الاقتصادية والسياسة الاقتصادية... ومكافحة الفقر. ١٨
- العقلية الترويضية وأثرها في استعمار الشعوب ٢٤
- العلماء: بين وراثة الأنبياء، ووراثة المال وحب السلطان ٢٨
- أخبار المسلمين في العالم ٣٥
- القرآن الكريم:سورة الصف نموذج قرآني لكيفية النجاة من التضليل السياسي ٤٠
- رياض الجنة: فعل الخير وقضاء حوائج الناس ٤٥
- فبهداهم اقتده: الصحابي أبي سفيان بن الحارث سيِّد فِتيان الجنة ٤٨
- كلمة أخيرة: تحذيرات ومخاوف من عنف يسبق الانتخابات النصفية الأمريكية ٥١
- غلاف أخير: إغناتيوس: لم يواجه نظام خامنئي حركة احتجاج هزت كيانه كهذه ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

اتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان و(إسرائيل) هو اتفاق تطبيعي وجزء من خطة صياغة أمريكا للمنطقة

الوصول إلى مسودة الاتفاق:

تقوم الولايات المتحدة بالتوسط منذ عامين بين لبنان و(إسرائيل) للتوصل إلى اتفاق يهدف إلى ترسيم حدودهما البحرية وإزالة العقبات أمام التنقيب عن النفط والغاز. وقد شهدت المفاوضات في الفترة الأخيرة سرعة أملتها الحرب الروسية الأوكرانية، وحاجة السوق عالميًّا إلى استخراج الغاز والنفط من غير تأخير، فتوصلت أمريكا عبر وسيطها آموس هوكشتاين إلى مسودة اتفاق أعلن عنها في ٢٠٢٢/١٠/١٠م. وعن هذه المسودة صرح رئيس هيئة الأمن القومي (الإسرائيلي) إيال حولاتا في ٢٠٢٢/١٠/١١م **في بيان باللغة العربية** فقال: «تمت تلبية جميع مطالبنا والتعديلات التي طلبناها قد قبلت. حافظنا على مصالح إسرائيل الأمنية. نحن في الطريق إلى اتفاق تاريخي»... ومن الجانب الآخر، صرح إلياس بو صعب مسؤول ملف المفاوضات عن الجانب اللبناني لرويترز بالقول: «تلقينا المسودة النهائية، ويشعر لبنان بأنها تأخذ في الاعتبار كل متطلباته، ونعتقد أن الطرف الآخر يجب أن يشعر بالمثل، وقال إنه يمكن أن تؤدي قريبًا إلى «اتفاق تاريخي». ويتوقع أن لا يتأخر التوقيع على الاتفاق رسميًّا عن انتهاء ولاية رئيس الجمهورية ميشال عون، في آخر الشهر العاشر من هذا العام حتى يعتبر من إنجازاته، ولتضمن أمريكا التوقيع عليه.

(إسرائيل) هي المستفيد الأكبر من هذا الاتفاق

لا شك أن (إسرائيل) هي المستفيد الأكبر من هذا الاتفاق، فقد حصلت على حقل كاريش كاملًا **من غير حرب.** وهو حقل نفط وغاز طبيعي يحتوي على كميات تجارية، وهو يقع ضمن الخط اللبناني المعروف باسم «الخط ٢٩»، بحسب خرائط الجيش اللبناني العام الماضي أي تابع للبنان؛ ولكن مسؤولي لبنان (ميشال عون ونجيب الميقاتي ونبيه بري) المختلفين على كل شيء وافقوا بالإجماع على اعتباره تابعًا لـ(إسرائيل) وإمضاء المسودة على ذلك؛ ما يدل على أن الأوامر الأمريكية بالموافقة قد أُمليت عليهم... ثم إن هذه الفترة من توقيع الاتفاق تعتبر تجاريًّا بالنسبة لـ (إسرائيل) ذهبية لاستخراج النفط والغاز بسبب حاجة أوروبا الماسة إليهما في ظل الحرب الروسية الأوكرانية... بينما يحتاج لبنان إلى سنوات حتى يتمكن من استخراج النفط من (حقل قانا) الذي لم تجرِ فيه أي عملية حفر أو تنقيب بعد ، ولا يعرف حتى الآن مدى ما يحتويه من كميات نفط أو غاز.

لولا موافقة حزب إيران لما حصلت الموافقة على ترسيم الحدود البحرية

يمكن القول إن حقل كاريش لم تكن (إسرائيل) لتأخذه لولا موافقة حزب إيران على مسوَّدة الاتفاق، وهذا الموقف من حزب إيران قد أراح أمريكا و(إسرائيل)، وجعل الاتفاق ناجزًا. هذا وقد حرص الحزب على إظهار أنه كان يراجع بنود الاتفاق نقطة نقطة، وأنه لولا تهديد حزب

الله وصواريخه لما تم الاتفاق على هذا الشكل، وصوَّر حزب إيران هذا الاتفاق بأنه انتصار له... وهكذا تصور التنازلات والخيانات على أنها انتصارات!!.

تحوُّل الصراع مع (إسرائيل) من صراع على الوجود إلى صراع على الحدود

وبما أن لبنان يعتبر من البلدان التي هي في حالة حرب إقليمية ضد (إسرائيل)، وهذا الصراع يتصدر حزب إيران مشهده، ويحدد أبجديته، ويحصر خوض الصراع به وحده، ويصوِّر للناس أن صراعه مع (إسرائيل) هو صراع مبدئي، والنصر فيه إلهي، وأنه لا يعترف بـ(إسرائيل)؛ فإذا به يفاجئ الجميع بإعلانه أنه **يقف خلف قرارات الدولة اللبنانية.** وهو بهذا الموقف يعلن عن **تحوُّل** موقف حزب إيران من مسألة التطبيع، **وتحوُّل** طبيعة الصراع مع (إسرائيل) **وهذا كله يتوافق مع سياسة أمريكا في المنطقة.**

اتفاق الترسيم هو اتفاق تطبيعي

لقد حرصت أمريكا، الممسكة بالوضع اللبناني، على ربط حل بعض مشاكل لبنان بـ(إسرائيل)؛ فقد ربطت من قبل استجرار الغاز والنفط بكل من سوريا والأردن ومصر و(إسرائيل) لتأمين الكهرباء. وربطت حل مشكلة استخراج الغاز والنفط على سبيل مساعدة لبنان للخروج من أزمته الاقتصادية بتسوية النزاع على الحدود البحرية بين لبنان و(إسرائيل) وهو ما توصلت إليه من اتفاق ترسيم االحدود البحرية، وموضوع الترسيم يفتح باب التطبيع بين لبنان و(إسرائيل)، ويغلق باب الصراع. واللافت فيه هو دخول إيران وحزبها، وعلى المكشوف في جريمة التطبيع القذرة هذه... ومعلوم أن سياسة التطبيع جعلت عملية السلام تسير عكس ما كانت تسير عليه من قبل؛ إذ كانت محادثات الصلح تبدأ بين (إسرائيل) والجانب الفلسطيني ومن ثم تلحقه الدول العربية، والآن صار على العكس يبدأ مع الدول العربية دولة دولة؛ ليجبَر فيما بعد أهل فلسطين على اللحاق بها والصعود إلى عربتها، وهي خطة ترامب التي أسماها بـ (صفقة القرن) يريدون بذلك فرط قضية فلسطين، وأن لا تبقى تطرح كقضية مركزية، ولا كقضية أمة واحدة، ولا كقضية إسلامية جامعة...

اتفاق الترسيم هو جزء من الخطة الأمريكية لصياغة المنطقة

ولمن يتساءل: هل هذا يعني عند إيران أن لا مبرر لسلاح حزبها بعد هذا الاتفاق في لبنان، فإن الجواب هو أن إيران أداة بيد أمريكا وسلاح حزب إيران لم يكن يومًا للقضاء على (إسرائيل) وإنما هو أداة في خدمة السياسة الأمريكية في المنطقة، وكل مواقف حزب إيران ضد (إسرائيل) أو ضد أمريكا لا تعبر عن الحقيقة، وإنما الحقيقة هي أن إيران تابعة في سياستها الخارجية لأمريكا، منذ أيام الخميني، وأن مواقف إيران في المنطقة كل رياحها أمريكية من أفغانستان، إلى العراق، إلى اليمن، إلى سوريا، إلى لبنان، ودور حزب إيران كان رئيسيًا في دعم بقاء الأسد في الحكم. وفي لبنان قام حزب إيران وبتوجيه وبتعاون كامل مع إيران، بوضع يده على لبنان سياسيًّا وعسكريًّا لمصلحة أمريكا، ومنع (إسرائيل) من أن تفرض حلها على لبنان، وهو يساعد،

بحسب التوجيهات الإيرانية له، وسواء أكانت قياداته تعلم ذلك أم لا، أمريكا لأن تكون صياغتها للمنطقة، ولبنان جزء منها، هي التي ستنفذ على أرض الواقع؛ فإيران تطمع بأن تكون رأس حربة في الصياغة الأمريكية الجديدة للمنطقة. إذًا فاتفاق ترسيم الحدود البحرية بين لبنان و(إسرائيل) هو اتفاق أمريكي ساهم في إنجاحه إيران وحزبها... والآن، لو عدنا إلى السؤال فإن جوابه هو أن حزب إيران سيبقى على سلاحه ما دامت الصياغة الأمريكية للمنطقة لم تكتمل بعد، وخاصة الجزء المتعلق بسوريا، وستبقى معه تصريحات حزب إيران المعادية لأمريكا ولـ(إسرائيل)؛ ولكن ليس من أجل القضاء عليها بل من أجل أن تصب في خدمة السياسة الأمريكية في سوريا فيأتي حاكم عليها، إن لم يكن بشارًا، فهو مثيله. والمتوقع أن قضية سوريا لن تحلها أمريكا إلا بعد أن تأتي بحكم عميل خالص لها، يسير كا سار غيره بالتطبيع مع (إسرائيل)، ويكون جزءًا من صياغتها للمنطقة.

ان اتفاق الترسيم هو جزء من الخطة الأمريكية لصياغة المنطقة، لذلك هشَّت وبشَّت له أمريكا، وعلى أعلى المستويات، وأكثر من (إسرائيل) كونه حقق لها الجزء المتعلق بالصياغة الأمريكية للبنان. وهو اتفاق المهم فيه إبرامه حتى تكون التحركات اللاحقة في إطاره، وسيشغل الناس بالوعود الاقتصادية التي ستمتد لخمس سنوات، وهي المدة التي ستستغرقها عملية البدء باستخراج النفط والغاز فيه، وأثناءه سيكمل صندوق النقد الدولي إجراءاته وضغوطه على الناس، والتي ستؤدي في نهايتها إلى القبض على الاقتصاد اللبناني كليًّا ورهن مقدراته وخاصة النفطية وجعلها بيده بحيث يبقى واقعًا تحت سندان ومطرقة سداد الديون لسنوات طويلة...

إن الإسلام يحرم الصلح مع يهود ويوجب على المسلمين إعادة فلسطين إلى دار الإسلام، أي الدولة الإسلامية، وما يتم الاتفاق عليه خارج الحكم الشرعي هو باطل ويأخذ حكم المعدوم بنظر الشرع. وإن اتفاق الترسيم هذا، هو كأي اتفاق آخر فُرض على الأمة بألاعيب الديمقراطية والقوانين الدولية، وهو كسائر اتفاقات (إسرائيل) المتعلقة بالقضية الفلسطينية... فكلها تعتبر اتفاقات غير معترف بها، ولا قيمة لها عند الأمة. وما يوقعه الحكام فليس بمعبر عن إرادة الأمة بل هو معبر عن إرادة دول الغرب التي ترعى هذه الاتفاقات لمصلحتها وتستعمل أدواتها من الحكام ليأخذ مشروعية استعمارها له... والغرب نفسه يعلم تمامًا أن هناك انفصالًا تامًّا بين الأمة وحكامها وما ثورات (الربيع العربي) عنا ببعيد. فالأمة لا يمثلها إلا المخلصون الواعون من أبنائها، ولا تعطي قيادها الحقيقي إلا لهم، والأمة لا تفكر بمجموعها إلا بما يرضي ربها، والتغيير قادم وتزيد سرعته، وكل شيء يشير إلى أن هذا الدين سيعود وسيستلم الحكم وسيحارب اليهود ويقضي على دولتهم ويفتح باب الجهاد على مصراعيه. ولقد جاءت الحرب الروسية الأوكرانية لتؤكد هذا الأمر، وإن غدًا لناظره قريب. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

من هو الحاكم؟ لمن الحق في التشريع؟ لله تعالى أم للإنسان؟

ثائر سلامة، أبو مالك

لقد أسسنا تأسيسًا فكريًّا لهذا السؤال في الملخص التنفيذي لهذا الكتاب (الصندوق الأسود للفكر الغربي)، وفي متنه، إذ يكاد يكون السؤال المحوري الذي يدور عليه الكتاب، وأصلنا فيه بيانًا للمشاكل الفكرية العوِّيصة التي تنتج عن وضع التشريع في يد البشر، وها نحن هنا نقدم الحلول التي تعيد المسألة لنصابها الصحيح، ما هي نتائج إعادة وضع التشريع بيد الخالق بدلًا من البشر؟ ولماذا يجب أن نقوم بذلك؟، ولماذا يتحتَّم أخذ الشريعة الإسلامية بذاتها، وبما فيها من خصائصَ معجزةٍ منهجًا لصلاح البشرية، وإحقاق الحق، وإقامة العدل، وللتنظيم الصحيح للحياة؟

تقوم أي دولة في العالم على قاعدتين أساسيتين هما: **السيادة والسلطان**[1]، **والسيادة تعني الجهة التي تتمتَّع بالسلطة العليا في الدولة (صاحبة القول الفصل فيما يقع من تنازع ونقاش في شتى الأمور) من حيث امتلاك صلاحية التشريع، إما عبر تخويلٍ من الإرادات العامة أو عبر تسييرٍ للإرادة العامة بقوانين وتشريعات معيَّنة تفرضها تلك الجهة، وإخضاعٍ لتصرفات الإرادات لتلك السيادة في جميع ما يصدر عن الجهة المالكة للسيادة من تشريعات؛ لينعكس على ممارسة الأحكام في العلاقات جميعها، وفي السلوك الفردي وحتى في العلاقة بالأشياء**، وقد كانت هذه السيادة منذُ نَشَأتِ الأممُ إما لله أو للإنسان؛ وعندما تكون السيادة للإنسان فإنها تتخذ أشكالًا عدة، فقد تختزل في شخصٍ كفرعون وهو يقول ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، وقد تكون في الحزب الحاكم كالحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، وكانت قبل الثورة الفرنسية بيد الكنيسة، متذرعة بما يسمى بالحق الإلهي، ثم تحوَّلت بعد الثورة إلى «الشعب» والذي يمثله مجلس النواب التشريعي، وفي الواقع فإن الذين يشرِّعون هم مجموعة من القانونيين والفقهاء الدستوريين ويصوت مجلس النواب على تشريعاتهم، ولا يشرع الشعب كما يُتوهم، وعمومًا مع اختلاف أشكال السيادة فإنها تتفق في جعل صلاحية التشريع للإنسان. وبعد أن بَعث الله محمدًا ﷺ حصر السيادة بالله وحده، وأقام دولته على هذا الأساس، واعتبر كل حكم مخالف لهذا الأساس طاغوتًا يجب الكفر به... فمما تقدَّم يتبيَّن أن لصلاحية التشريع والحكم على الأفعال

١ السلطان في الإسلام للأمة، يقال في اللغة: سَلَّطهُ، أي أطلق له السلطان والقدرة، وسلطه عليه: مكّنه منه وحكّمه فيه. وتسلّط عليه: تحكّم وتمكّن وسيطر. والسلطان القوة والقهر، ومعنى السلطان: من له ولاية التحكم والسيطرة في الدولة، فإن الحكم والملك والسلطان بمعنى واحد، وهو السلطة التي تنفذ الأحكام، والسلطان لا يتحقق إلا بأمرين: أحدهما: رعاية المصالح، أي مصالح الناس عامة، (نظام الحكم، وأنظمة الدولة) بأحكام معينة، وثانيهما: القوة التي تحمي الرعية، وتنفذ الأحكام، أي الأمان.

مصدرين لا ثالث لهما؛ فإما لله (الشرع) وهو ما جاء به رسول الله ﷺ أو للإنسان (العقل[٢]/ الهوى) مع اختلاف مسمياتها[٣].

إن العلوم والفنون، والأدب والفلسفة والتاريخ، والفقه واللغة، ونهضة الإنسان ورقيه، والحضارات التي أنشأها، والمعرفة من حيث هي معرفة، إنما هي نتاج **العقل** وبالتالي نتاج التفكير، والمعرفة هي جوهر الوجود الإنساني، وثمرة نتاجه العقلي، وسبره لأغوار الوجود، ومعتركات الحياة، وتلك الثمرات هي التي ترفع مقام الإنسان السامي ليصبح أفضل المخلوقات، أو تُرديه ليكون أضلَّ من البهائم؛ تجعله يتَّسق مع ذاته، ويطمئن في سير حياته، أو تهز كيانه من الأعماق، وتسبِّب له القلق والشك والريب؛ تفسِّر له العالم أو تضعه في حيرة.

وكذلك فإن الإنسان مركزيٌّ في هذا الوجود، صُنِعَ الكونُ بما فيه من أفلاك وأجرام ونظام مهيَّأً لاستقبال الحياة، وصُنِعَتِ الحياةُ بما فيها من مدهشات ومعجزات مهيَّأة لاستقبال الإنسان، فأرقى ما في حلقات الحياة هو الإنسان العاقل، وإنما يرقى هذا الإنسان بما لديه من عقل!

والعقل آلة الإنسان لمعرفة خالقه وإدراك سر وجوده في الحياة، وفضِّ كثير من مغاليق هذا الوجود وتفسيرها بالربط الذكي، والفهم والإدراك، وإنشاء الأفكار، والبحث والاستنباط والاستقراء، والعقلُ مناطُ التكليفِ.

وحيث كان للعقل هذه المكانة الهائلة في «خطة الوجود»، وفي امتياز الإنسان العاقل عن سائر المخلوقات، والاتكال على العقل في إدراك الصلة بالخالق؛ فلا شك أنه آلة بالغة الأهمية، **بالغة القدرة**، ولا شك أن حكمه الذي سيحكم به في عملية الاستدلال على الخالق أو في تفسير الوجود، ذلك الحكم المبنيّ على الأدلة، والمتصل بالمحدَّدات التي تفيد القطع هو **حكمٌ مقطوعٌ بصحته**، ويجب **أن نأخذه** بدون تردد؛ لكن، حين البحث في قدرة العقل على إصدار الأحكام على أمور أقل شأنًا من قضايا الاعتقاد، مثل بعض الأحكام المتعلقة بتنظيم حياة الإنسان، مثل الحكم بحسن فعل ما أو بقبحه، أو بأنه حكم خير أو حكم شر، أو أن عليه ثوابًا أو عقابًا، أو أنه يُصلح معيشة الإنسان أو يُفسدها؟ سنجد أن العقل لا يستطيع أن يصدر مثل هذه الأحكام. ويجدر الانتباه إلى أن العقل لا يستطيع إصدار الأحكام لا أنه ممنوع من إصدارها؛ وذلك **لأنه لم يؤت الأدوات والقدرات والمعلومات التي تتوقف عليها استطاعته إصدارها**. ولو كان العقل يستطيع التحسين والتقبيح، أو الحكم بالخير والشر، فلا بد قطعًا من أن يتَّفق حكمه مع حكم الشرع، أما وقد اختلفا، فإن هذا يدل دلالة قاطعة على أن العقل لا يمتلك القدرة

٢ باستقراء القرآن الكريم الذي أمر باستعمال العقل والتفكير والتدبر والتأمل للوصول لفهم حقائق الكون والاستدلال على صحة الاعتقاد، نجده لم يذم العقل ولا في موطن واحد، وحين تجرَّأ أقوام على التشريع واستحلال الحرام فإنهم يتبعون أهواءهم، لذلك فالمعضلة هي: لمن التشريع، لله أم للهوى؟ ولا يقال لمن الحق في التشريع: لله أم للعقل!

٣ لماذا الخلافة؟ بقلم: الأستاذ مازن الدباغ جريدة_ الراية بتصرف.

على إصدار الأحكام، **وعليه ففي هذا البحث، حين نقول في أي موضع منه، بأن العقل يمكن أن يخطئ في الحكم، أو أنه يتفاوت، أو أن الحكم ليس للعقل، فإنما نعني الهوى أو الميول لا العقل نفسه**؛ لأن العقل لا يمتلك القدرة على الحكم؛ ولكن الإنسان لا يتوقف عن إصدار التشريعات والأحكام، فالإنسان يحكم أهواءه لا عقله[٤]، والحضارة الغربية أعلت من شأن العقل حتى جعلته يحكم في كل شيء في مملكة الطبيعة؛ لذلك فإننا إذ نضع المسألة هنا في سياقها الصحيح، فإننا **قد نستخدم كلمة العقل ونحن نرد على العقلانية الليبرالية العلمانية؛ لكننا نعني الأهواء والميول.**

أما لماذا لا يستطيع العقل إصدار الأحكام (التشريعات) فلأن العقل ولا شك محدود، ومقيَّد، محدود ينحصر تفكيره في دائرة محددة، فلا يستطيع أن يفكر إلا في ما يقع الحس عليه أو يقع على أثره، بشرط وجود الصلة (العلاقة) البيِّنة بينه وبين أثره، كعلاقة التلازم أو السببية أو العلية أو الاقتران أو الاشتراك؛ وإلا تورَّط في التناقض والخطأ، والعقل إن خرج من هذه الدائرة احتاج لأدوات تحصِّنه لتنفي عن حكمه صفة التخريص أو الخطأ. ومحدود بحاجته لمعلومات سابقة تفسر له الواقع، فلا يستطيع إنشاء الأفكار أو الأحكام إلا بوجود تلك المعلومات السابقة.

وهو مقيَّد بحاجته لميزان يحاكم عليه صحة الأفكار وصدق نتائجها، ودرجة قوتها، وتمنعه من المغالطات في الحقائق، وحوافّ تبين له المؤثرات الصحيحة التي ينبغي لها أن تؤثر في حكمه (كالمعلومات السابقة عن الواقع المراد تفسيره)، والأخرى التي عليه أن يستثنيها إبان إصداره للحكم، كي لا تؤثر على سلامته (كالآراء السابقة التي يمتلكها والتي قد تتسلَّط على الحكم فتفسده، وكالوجدان، والمكان والزمان في مثال التشريع)، وحدود إذا ما تجاوزها قد يقع في المحظور فينتج معرفة قد لا تكن صحيحة بالضرورة، كالبحث فيما لا يقع الحس عليه ولا على أثره: (الميتافيزيقيا)؛ ولذلك فهو بحاجة إلى التزام طريقة صحيحة في التفكير فيما وراء الطبيعة ليصل لنتائج صحيحة[٥].

وبالنظر المستنير المتفحِّص نجد أن العقل إذ يبحث في الأدلة التي تملأ جنبات الكون فإنه يخوض في الدائرة التي يستطيع الحكم فيها على صدق وصحة وقطع نتائجها، ولديه المعلومات السابقة، والبدَهيات والأصليات التي يرجع إليها لترفع أبحاثه لمرتبة اليقين والقطع، والصدق في الانطباق على الواقع المبحوث، أو تبقيها في دائرة الظن، أو يحكم عليها بالتكذيب؛ لذلك كان يستطيع إصدار الأحكام في قضايا الاعتقاد، مثل بحث وجود الخالق وصحة الصلة بين الخالق والكون والإنسان، سواء صلة التنظيم، أم صلة الإيجاد، أم صلة الأوامر والنواهي عن طريق الرسل.

في حين إنه حين يلج الدائرة المتعلقة

٤ الدكتور محمود عبد الهادي فاعور، بمراجعة مسودة الكتاب.

٥ وقد فصلنا في بحث هذا في كتابنا: (نظرية المعرفة ومناهج التفكير والاستدلال).

بإصدار الأحكام على الأفعال، والمصالح، والعواقب، والخير والشر، والحسن والقبح، والثواب والعقاب، والعدل والظلم، فإنه يمتلك بعض الأدوات، (كفهم طبيعة الواقع)؛ ولكنه لا يمتلك بعضها الآخر الضروري لهذا البحث، (مثل عواقب هذا الواقع المستقبلية، هل سيكون هذا الواقع خيرًا أم شرًّا عليه، هل فيه مصلحته أم ضرُّه؟ وهل تكمن المصلحة في النفع المادي مثلًا، أم في القيمة الأخلاقية أم الإنسانية أم الروحية؟ وهكذا، فهذه مغاليق لا يستطيع العقل فكَّها)؛ لذلك يجب عليه أن يتوقف عن إصدار الأحكام والتشريعات لافتقاره لتلك السمات والمعلومات اللازمة لإجراء العملية الفكرية التي ينتج عنها الحكم والتشريع والتقنين؛ ولذلك، فالإنسان حين يسمح لنفسه أن يشرع، فإنه لا يقوم بإعطاء عقله مهمة التشريع، وإنما يعطيها لأهوائه التي تدفعه لخوض غمرات ما لا يملك العقل قول كلمة فيه، ولميوله التي تسوِّل له بأن المصلحة ما وافقها. وحين نتوقع من العقل أن يشرع، لأنه من أعظم الآلات وأعجب المخلوقات التي خلقها الله تعالى، فإننا كمن يتوقع من سيارة بالغة الكمال والجمال والدقة أن تطير في الهواء، دون أن تمتلك الأدوات التي تتطلبها عملية الطيران.

فحتى نحاكم قدرة العقل على التشريع لا بد من إجراء دراسة تبين امتلاك العقل (أو المتشرع) سمات معينة أولًا حتى يتمكَّن من التشريع وإصدار الأحكام؛ إذ لا بد من وجود سمات معينة يتصف الحكم بها، وسمات معينة، ومعرفة أو علم معين يتسم الحاكم به، ونتائج معينة تنتج عن هذا الحكم حتى نحكم على ذلك الحكم بأنه يصلح لتنظيم حياة الإنسان.

حاجة الإنسان إلى تشريع ونظام حياة: مفاهيم عن الأشياء، ومفاهيم عن الحياة

ينظر الإنسان، إذ تعترضه الأشياءُ التي سخرها الله له في الكون، إليها متفكرًا، فتتكوَّن لديه مفاهيم عنها، (**مفاهيم عن الأشياء**) تكاد تكون متطابقة عند كل الناس، فالبصل يؤكل والسم يميت لو أكل، والحائط يقي من القيظ، والنكاح يشبع غريزة النوع... ولكن السلوك المطلوب تجاه هذه الأشياء، هل يجوز له أكل البصل أو الخنزير، وهل يجوز له شرب الماء أو الخمر؟ أو أن يُزارع أرضًا؟ أو أن يبيع سلعة كالخمر مثلًا؟ أو أن يشبع غريزة النوع بالزواج أو الزنا؟... هذا السلوك بحاجة **لمفاهيم عن الحياة** تشكل مقياسًا للإنسان في أفعاله وتصرفاته، أي تتسلَّط هذه المفاهيم عن الحياة على مفاهيم الإنسان عن الأشياء لتضبطها وتنظمها؛ ليرتقي الإنسان عن البهيمية التي تهتم بإشباع الجوعات كيفما اتفق، وبالسلوك دون ضوابط، ودون تنظيم يَصلح الاجتماع معه، وهذه المفاهيم عن الحياة إنما توجَدُ بعد حلّ العقدةِ الكبرى.

ولما كان الإنسان اجتماعيًّا بطبعه، فهو بحاجة لتنظيم الانتفاع بالأشياء، تنظيمًا يجعل سلوكه، أي أفعاله في الحياة التي يشبع بها غرائزه وحاجاته العضوية، موقع رضا للمجموعة التي ينتمي إليها، فكريًّا ومشاعريًّا، فالمجتمع

بحاجة لنظام.

كذلك فإن تنظيم المجتمع يفضي لتخفيف ثقل مسؤوليات الإنسان عن إشباع حاجاته الأساسية والكمالية عليه، ويضمن له القدرة على الوصول للسلع والخدمات بصورة يستطيعها، ويمكنه من العيش والرفاه.

لذلك، ومع أن أي إنسان يستطيع التصرف إزاء هذه الأشياء وفق أهوائه؛ لكن هذا لا يوصل إلى رقي الإنسان ونهضته الفكرية، بل قد يتخبط من النقيض إلى النقيض، وقد يكون في حريته في التصرف كيف شاء أذى يوقعه على غيره أو على نفسه، أو منفعة آنية يعقبها ضرر لاحق، أو العكس. ولا يصحُّ العيش من غير اجتماع، ولا يصحُّ الاجتماع من غير تنظيم وحراسة لهذا التنظيم.[٦]

يسير كثير من الناس في الحياة على غير هدى، فيقومون بأعمالهم على غير مقياس يقيسون عليه؛ ولذلك تراهم يقومون بأعمال قبيحة يظنُّونها حسنة، ويمتنعون عن القيام بأعمال حسنة يظنُّونها قبيحة؛ فلا بد للإنسان -مسلمًا كان أم غير مسلم- من مقياس يقيس أعماله عليه حتى يعرف حقيقة العمل قبل أن يقدم عليه. **فما هي المحدَّدات والسمات التي يجب أن يحوزها حتى ينتج حكمًا صائبًا حسنًا يحقق الخير؟ وما هي المعايير التي تبين لنا صواب أو خطأ تلك المقاييس؟** ولماذا يتوجب وجود مقاييس وسمات ومحدَّدات معينة تتسلَّط على الحكم لتضفي عليه صفة الصحة أو الفساد أو البطلان أو الصلاح؟ ولكن كيف له ذلك على نحو قطعي أو صحيح يعين له دائمًا أن هذا حسنٌ، أو هذا فيه صلاحه اليوم وغدًا، وصلاح مجتمعه، والعقول محدودة ومتفاوتة، والأهواء والميول متحكِّمة، **والقضايا التي تتوقَّف عليها صحة الحكم بالصلاح والحسن أو عدمهما متشعبة**، أو معلومة بصورة نسبية أو غير كاملة، مما سيؤثر قطعًا على أحكامه، فلربما يجعل الإنسانُ القبيح حسنًا، أو ينصرف عن فعل فيه صلاحه إلى نقيضه للأسباب السابق ذكرها؛ لذا، نجد أن الإسلام قد جعل للإنسان مقياسًا (مصدره الفكرة الكلية أي العقيدة) يقيس عليه الأشياء، تَلافَى بها كلَّ العقبات والثغرات السابق ذكرها، فيعرف قبيحها من حسنها، فيمتنع عن الفعل القبيح، ويقدم على الفعل الحسن. وهذا المقياس هو الشرع وحده؛ فما حسَّنَه الشرعُ من الأفعال هو الحسنُ وما قبَّحَهُ الشرعُ هو القبيحُ. وهذا المقياس دائميٌّ فلا يصبح الحسنُ قبيحًا، ولا يتحول القبيحُ إلى حسنٍ؛ بل ما قال عنه الشرع حسنًا يبقى حسنًا، وما قال الشرع عنه قبيحًا يبقى قبيحًا، ومثل ذلك يقال عن الخير والشر، وهذا المقياس صالحٌ لكل الناس في كل زمان ومكان ينظم حياتهم ومصالحهم ومعاشهم التنظيم الصحيح. بينما تركت العلمانية والليبرالية تنظيم الحياة للبشر، وسندرس المقاييس

٦ خذ مثلًا العقيدة الإسلامية: حيث أن الإسلام جعل العقيدة فكرة كلية، فهي بذا تعطي جوابًا عن كل شيء ليشكل مفهومًا يتخذه الإنسان مقياسًا إزاء الواقع الذي يريد التعامل معه، فيقوده هذا المقياس في غمرات الحياة قيادة فكرية؛ بحيث تعطي مفاهيم العقيدة عن الحياة معالجات لمشاكل الحياة، أي تعطي أحكامًا تنظم للإنسان شؤون حياته؛ من هنا ربط النظام الإسلامي بين الواقع وبين الحلول اللازمة لمعيشة الإنسان.

التي وضعتها أو ارتضتها بإذن الله تعالى.

ولا بد للعقيدة الكلية من أن تحوي إمكانية انبثاق نظام عنها ينظم علاقات المجتمع على أساسه[٧]، ليضمن حسن انضباط أفراد المجتمع وفق نظام مخصوص منبثق من عقيدة **آمنوا بها**، يقضي بين الناس حين تتعارض مصالحهم أو تتضارب نظرتهم لهذا النظام، ويبيِّن لهم ما يصلح مجتمعهم واجتماعهم من نظام، أي يحدِّد لهم ما يسمى بـ«المصلحة العامة»، التي ستكون أساسًا لجلب المصالح ودرء المفاسد بصورة صحيحة لا تتأثر بأهواء فئة على حساب فئة، أو بنظرة فئة قاصرة تتعارض مع نظرة فئة أخرى، وإلا فالعقيدة التي لا ينبثق عنها نظام للحياة أو إن لم يكن النظام المنبثق عنها شاملًا لمناحي الحياة كلها (فوق الأحوال الشخصية والعبادات مثلًا)، لن تعدو أن تكون عقيدة روحية كهنوتية فلا تصلح لتسوس الناس وتهديهم سبيل نهضتهم، ولا تكون كلية إن لم تحوِ مقاييسَ وأحكامًا مرجعية لمشاكل الإنسان والمجتمع، ومن جهة أخرى، فإن المجتمع الذي لا تتصل أنظمته بالعقيدة التي يؤمن بها لن يجد الدوافع الذاتية للالتزام بالأنظمة، وسيعيش تناقضًا بين ما تمليه عليه عقائده وبين ما يعيش من نظم غير متصلة بها.

ولضمان صحة التشريع وصلاحيته لتنظيم حياة الإنسان نبحث المسألة من زوايا ست: **زاوية** تتعلق بالسمات المتعلقة بالجهة التي ستشرع القانون أو التشريع لضمان صحته وصلاحيته. **والثانية** تتعلق بفهم الواقع الذي يراد وضع التشريع أو القانون له. **والثالثة:** المحدّدات والسمات الضامنة لصلاح التشريع المتعلقة بتطبيقه في الواقع ليؤتي ثمارًا معينة تنعكس صحته وصلاحيته على قدرته على إيجادها في الواقع وأن تفضي لتحقيق غايات ومقاصد معينة. **والرابعة:** الزوايا التي تدرس المؤثرات الضرورية والظنِّية التي لها علاقة بالواقع أو بفهمه أو بتطبيق الحكم. **والخامسة:** أثر الحالات الطبيعية والاستثنائية على الحكم. **والسادسة:** ضمان تكامل الحكم والتشريع مع منظومة أحكام النظام الأخرى المتعلقة بمسائل شبيهة أو متعلقة (كمسائل النظام الاجتماعي، أو النظام الاقتصادي) وعدم تعارضه معها ليحقق النظام بمجموعه غايات معينة. ونظرًا لطبيعة مادة هذا الكتاب، وضخامة البحث الذي يتناول الزوايا تلك، فإننا سنمر سريعًا على بعض هذه الزوايا هنا، وقد فصلنا فيها في كتابنا: (معجزة التشريع الإسلامي، خصائص ومقومات).

المحددات والسمات الضامنة لصلاح التشريع والتي يجب أن يمتلكها الشارع

أ- امتلاك السلطة المخوَّلة للحاكم بفرض التشريعات، وبحق التصرف باسم الجماعة، وبالتالي لتتأسَّس على أساس تلك التشريعات السلطةُ التي ستكون مرجعيةً قانونيةً للثواب والعقاب؛ لأن الغرض من التشريعات التزام الفرد والمجتمع تطبيقها؛ وحيث إن «التطبيق

٧ يعرف المبدأ (الآيديولوجيا) بأنه عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام، فالعقيدة الكلية تعطي تفسيرًا كليًا لما يقع الحس عليه أو على أثره مما في الكون والإنسان والحياة، فإذا ما انبثق عنها نظام شامل لمعالجة مشاكل الحياة والمجتمع، تحولت لمبدأ، يصلح أساسًا لإنهاض المجتمعات.

هذا منوط بإرادة **الفرد** الذاتية للطاعة والتنفيذ، فإن إرادته على نفسه مضمونة لو شرع هو لنفسه»[٨]، لكننا أثبتنا حاجته لتشريع من غيره لحاجته للاجتماع، وهذا الغير يكون إما جماعة أو دولة أو دينًا؛ لكن حق الطاعة لغيره من البشر مرتهن ومترتّب على امتلاكهم سلطة مخوَّلة لهم من قبله، أو من قبل الجماعة بفرض التشريعات عليه وعليهم، ولما فشلت الديمقراطية والعلمانية والليبرالية بإيجاد تشريع أو دستور يمثل **أغلبية** مجموع ما يسمى بـ«الإرادة العامة»[٩]، كما أثبتنا في ثنايا الكتاب وفي الملخص التنفيذي فيه،

(فحتى لو سلمنا نظريًّا بمبدأ سيادة الأمة، أي بوجود إرادة مستقلة عن إرادة الأفراد، فإنه من الناحية الواقعية لا تبدو إرادة الأمة إلا في شكل إرادة أغلبية أفراد الأمة -الأمر الذي يصعب تحقيقه؛ ولكن حتى على افتراض تحقُّقه- إذًا فالسيادة للأغلبية وليست لكل الأمة، فما هو السبب القانوني في حق إخضاع الأقلية للأغلبية)[١٠] ثم تجريد الأقلية من حقها في ممارسة أعمال السيادة، فصار الوضع إلى **استبداد الأكثرية بالإرادة العامة! وحرمان الأقلية من حقوق ثابتة لهم**؛ لذا فقد وقعت الفلسفة الديمقراطية في تناقض حين بنت وجهة نظرها على أساس أن السيادة للشعب كل الشعب مطلقًا، ثم سلبت جزءًا كبيرًا من هذا الشعب حقه في العمل السياسي؛ لذلك كانت الديمقراطية خطرة؛ لأنها تخلع **طلاءً شعبيًّا على الأغلال**.[١١] وفشلت في إيجاد ضمانات تضمن تحقيق التشريع والدستور للخير وللمصلحة العامة بشكل دائمي، وفشلت في الوصول لآلية ترجع فيها للقواعد الشعبية لاستشارتها في القضايا المطروحة وفي محدّدات المصلحة العامة، أي فشلت في ضمان حصول السلطة المشرِّعة على حق التصرُّف باسم الجماعة. وبدلًا من ذلك وضعت التشريع في يد ثلة من الفقهاء الدستوريين والمحامين والأحزاب السياسية الممتلكة لأغلبية برلمانية (والتي أثبتنا أنها لا تمثل أغلبية الناخبين)، فإنها بذا افتقدت عنصر امتلاك المتشرعين لأي سلطة مخوَّلة لهم بفرض التشريعات، الأمر الذي يجعل طاعة القانون والتشريع عند الأفراد غير طبيعية وغير ذاتية، بل غير مترتبة على أي حق امتلكته الطائفة المتشرِّعة، (والتي لا يمكن وصفها في هذا الحال إلا بالدكتاتورية والتسلط على المجتمع)، علاوة على أنها تفتقر إلى الدافع الذي يدفع للطاعة والالتزام. أضف إلى ذلك أن تشريع العبيد بعضهم لبعض فيه اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله؛ لأن

٨ الدكتور محمد الملكاوي.

٩ المذهب الديمقراطي: (هو الذي يُرجع أصل السلطة أو مصدرها إلى الإرادة العامة للأمة، كما يُقرر بأن السلطة لا تكون شرعية إلا حين تكون وليدة الإرادة العامة للأمة)، الوسيط في القانون الدستوري - للدكتور عبد الحميد متولي، ص١٢٥؛ لأنه لا يمكن أن تتمتع الأمة بحقها في السيادة المطلقة إلا إذا كان (القانون هو التعبير عن إرادة الأمة) مبادئ القانون الدستوري - الدكتور السيد صبري، ص52، ط4، 1949.

١٠ القانون الدستوري - الدكتور عبد الفتاح سايردار هامش، صفحة ٦٣.

١١ الدكتور محمود الخالدي، الإسلام وأصول الحكم، بتصرف.

التشريع يتضمَّن الخضوع للمشرِّع وطاعته وتسيير السلوك وفق رؤيته، وهو يخالف أن الناس خلقوا أحرارًا؛ بينما هم خلقوا عبيدًا لله. هذا كله بخلاف التشريع الصادر عن الله بحكم أنه خالقٌ ربٌّ[١٢] إلهٌ مالكٌ مدبرٌ ودَيّانٌ.

ب- أن يتصف المتشرِّع بالعصمة عن الخطأ، وهذا يتطلَّب أن يمتلك القدرة على معرفة كل ما يتعلق بالنقاط (ت) و (ث) أدناه، وأن يتصف بالعصمة من التناقض والاختلافات والنقص والخلل والعبثية، وأن يتصف بالقسط والعدل والإنصاف فلا يظلم، وبقدرة التشريع على تحقيق الأمن، وبالموضوعية المتمثلة في البراءة من التحيُّز والهوى والميل مع الأهواء والمصالح الآنية الضيِّقة، فلا يحابي أحدًا على أحد، في حين إننا نجد تأثر المتشرعين البشر -في أحيان كثيرة- بمزاجهم وأهوائهم الشخصية أو أهواء النخب، وبتحيُّزهم العاطفي وغير الموضوعي.

ولا شك أن الموضوعية، وإحقاق الحق الذي يصيب المصلحة العامة ويحدِّدها، ليقوم الناس بالقسط، والعصمة عن الخطأ في إصدار الأحكام تتأثر بتفاوت قدرة العقل على التشريع، أي نظرتها لحل المشاكل وتقنين الحلول، وتتأثر نتيجة تدخل الثقافات والعادات والبيئات والرغبات والأذواق والأهواء، وتفاوت القدرات العقلية، والتخصُّصات، والميول الفطرية والغريزية قوة وضعفًا، وأثر هذا كله في القدرة على التشريع وإصدار الأحكام.

إذًا، تتفاوت قدرات العقول قوة وضعفًا، وتقديرًا للضرر والنفع، وتتأثر الأحكام بالأهواء والميول، وتتفاوت الأحكام بين الناس، فما يراه شخص حسنًا يراه الآخر قبيحًا، وتتفاوت تقدير العقول للكيفيات التي تحقق المصالح بها، وتتفاوت العقول فهمًا لانسجام القوانين مع نسيج القانون العام في الدولة وتحقيقه لمنظومة القيم والمقاصد التشريعية، وتتفاوت العقول في دراسة أثر العوامل الكثيرة والمتشعِّبة المؤثرة في المسألة، وتقدير الترجيح بين بعضها بعضًا، وما يترتب على ذلك من آثار آنية أو لاحقة، وغير هذا من العوامل التي لا ينكر وجودُها، والتي تستوجب الإقرار بعدم قدرة العقل على التشريع وبضرورة منع الأهواء من التشريع.

ج- أن يتصف المتشرع بالعلم المحيط

١٢ يأتي لفظ الرب في العربية بمعنيين: ١) السيد أي المتصرف المدبر، الآمر الناهي، الحاكم المشرع، ٢) المالك: أي مالك العين أو الشيء ملكية تعطيه حق التصرف في العين. أُنظر: الحاكمية وسيادة الشرع للدكتور المسعري ص ٢٨-٢٩. قال ابن فارس: "(الرب) الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ. فالأول **إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه**. فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: **المُصْلِح للشّيء**. يقال رَبَّ فلانٌ ضَيعتَه، إذا قام على إصلاحها. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء. والله جلّ ثناؤُه الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقه". معجم مقاييس اللغة. و"﴿رب﴾ في الأصل: مصدر بمعنى التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وذلك يجمع النعم كلها، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل. وقيل: هو وصف من ربّه يربّه، وأصله: ربب ثم أدغم، سمى به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه، ولا يطلق على غيره تعالى إلا بقيد كقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ﴾. قال ابن جزيّ: ومعانيه أربعة: الإله والسيد والمالك والمصلح، وكلها تصلح في ﴿رَبِّ العَالَمِين﴾، إلا أن الأرجح في معناه: الإله لاختصاصه باللّه تعالى". تفسير البحر المديد لابن عجيبة بتصرف. وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط: "الرب: السيد والمالك والثابت والمعبود والمصلح وزاد بعضهم بمعنى الصاحب".

بطبيعة البشر، وبما يَصْلُحُ للناس في معاشهم وآخرتهم، وبما يُصْلِحُهُمْ، ويُصلح معيشتهم وأعمالهم، وبما يُطيق الخلق وما لا يُطيقون، وبما فيه رفعٌ للحرجِ وللعُسْرِ عنهم، وبما يصلح لكل زمان ومكان وحال بصورة تضمن إحقاق الحق وتحقيق العدل دائمًا.

د- أن يتصف المتشرِّع بالعلم المحيط بطبيعة الواقع الذي يشرِّع فيه، **وبالقضايا والظروف والأحوال التي تتوقف عليها صحة الحكم بالصلاح والحسن أو عدمهما، أو تؤثر في الواقع، وهذه القضايا ولا شك متشعِّبة، وربما يتعارض تأثيرها على النتيجة المرجوة فيحتاج للترجيح بينها (فالخمر والميسر فيهما منافع للناس، ولكن إثمهما أكبر من نفعهما)**، أو معلومة بصورة نسبيَّة أو غير كاملة بالنسبة للعقل البشري، والعلم المحيط بطبيعة المشاكل المتنوعة (اقتصادية واجتماعية...إلخ)، الأمر الذي يتطلب اختصاصات تقنية وفنية غير متوفرة في غالب الأحيان في البرلمان، فإن لُجئ في مثل هذه القضايا لأهل الاختصاص فإنهم يفتقرون للسلطان المخول لهم بالحكم، افتقارهم للعصمة من الخطأ، والعصمة من التأثر بالهوى والتحيُّز، افتقارهم لتخويل لهم في البت في هذه القضايا وأن يمثل رأيهم الإرادة العامة، وأيضًا اختلافهم في النظر للقضايا والحلول لها، (ولا أدلُّ على ذلك من تشعب المدارس الاقتصادية وتخبُّطها في حل مشاكل الاقتصاد على الرغم من اختصاص القائمين عليها)، وهذه عقبات خطيرة، ومؤثِّرات حسَّاسة يتوقَّف عليها إحقاق الحق وصلاحية الأحكام، وإدراك صحيح للمصلحة العامة، وهي قضايا لا يحيط العقل بها، مما يستوجب ترك التشريع للخالق.

هـ- وهذه المعضلات لا تُحَلُّ بترجيح حكم عقل شخص على عقل شخص آخر أو جماعة، أو اتخاذ عقول فئة مرجعية لباقي العقول، في ظل واقع اعتراء جميع العقول والأهواء لتلك النواقص والحاجات اللازمة لصحة الحكم الناتج، ولا تُحَلُّ المعضلات بوضع إحصائيات عن أثر تشريع ما في المجتمع، كدراسة عدد حالات الطلاق مثلًا؛ لأن الدوافع والظروف والنفسيات وتأثير كل منها على تلك النتائج بالغ التشعب والتعقيد، ولا يكون حل المعضلة بدراسة علمية تجريبية؛ لأن قوام التجربة إعادةُ صناعة الظاهرة الطبيعية داخل المختبر، أو تعريض المادة لظروف معينة ومشاهدة تصرفها تحت تلك الظروف، ومن ثم تكون المشاهدة والاستنتاج، والإنسان ليس كالذرَّة في تفاعله مع الأحداث، ولدى الإنسان القدرة على تصميم الأنظمة السببية الاجتماعية والتحكُّم بها، بخلاف المادة التي يمكن إخضاعها للتجربة، كما أن المقاييس أو الدوافع اللازمة لإصدار الحكم، أو المؤثرة في الفعل مثل الخير والشر، والإرادة الحرة، والمشيئة، والقيم الروحية وما شابه لا يمكن للتجربة أن تقول فيها أي كلمة؛ لأنها قضايا غيبية لا يمكن تكميمُها ولا قياسُها. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الاقتصادي الأمثل
(تعريف بالنظام الاقتصادي في الإسلام) (٥)

د. محمود عبد الهادي

النظام الاقتصادي في الإسلام هو الأحكام الشرعية التي تبيِّن الحقوق والواجبات لكل فرد فيما يتعلق بحيازة الثروة والتصرُّف بها وكفاية حاجاته. فمن حيث هو نظام: هو مجموع الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال العباد في موضوعه. ومن حيث موضوعه أي الاقتصادي: هو تدبير شؤون المال تملُّكًا وتصرُّفًا.

ويختلف النظام الاقتصادي الإسلامي عن غيره من النظم المعروفة في العالم وهي الرأسمالي والاشتراكي. يختلف عنها في الأساس الذي ينبثق منه، وفي مصدره الذي يؤخذ منه، وفي كيفية تقرير جزئياته، وفي تقريره للمشكلة الاقتصادية التي يعالجها، وبالتالي في سياسته، أي كيفية معالجته لهذه المشكلة، يتبيَّن ذلك من استقراء أحكام الإسلام ومعالجاته.

وقد كان للضعف الشديد الذي طرأ على المسلمين في فهم الإسلام، وللغزو الاستعماري الذي فصل الإسلام عن الدولة وعن الحياة، وتدخّل في الأنظمة والقوانين، وفي برامج الإعلام ومناهج التعليم، أثرٌ كبير في تشويه الإسلام، وفي حشو العقول بالمغالطات، وفي تشكيل العقليات عند المسلمين على أسس من أفكار الكفر، وفي جعل الكافر المستعمر وقوانينه وتاريخه ونظم حياته في كثير من نواحي العيش محطَّ أنظار المسلمين، وخصوصًا المتعلمين منهم، والذين تبوَّؤوا مراكز الحكم والتأثير والنفوذ. لقد كان لهذا أثره الكبير في زيادة جهل المسلمين بدينهم وبطريقة عيشهم، ومن ذلك النظام الاقتصادي؛ ولأجل ذلك لزم عرض وبيان أحكام النظام الاقتصادي في الإسلام.

أما من حيث أساسه الذي ينبثق منه، فالنظام الاقتصادي كغيره من أنظمة الإسلام، هو أحكام شرعية يثبت كونها حقًّا، ويثبت وجوب أخذها بناءً على أنها أوامرُ ونواهٍ من الله تعالى، وبذلك فهي حقٌّ وما عداها باطل. **فأساسه هو الحقيقة القطعية: لا إله إلا الله محمد رسول الله،** وهي التي تعيِّن مصادر النظام التي تبيِّن الحقوق والواجبات والمصالح والمفاسد وكيفية تقرير أي منها. هذه المصادر هي القرآن والسنة، وإجماع الصحابة والقياس.

وما لم يكن مأخوذًا من مصادر الإسلام فهو باطل؛ لأنه يفتقر إلى إثبات تصديقه، أو وجوب أخذه، أو حق الإلزام أو الالتزام به. وقد ثبت قطعًا وجوب نبذه وإطراحه. قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾.

وعلى ذلك فإن مصدر النظام الاقتصادي

الإسلامي هو القرآن والسنة وما أرشدا إلى أنه وحي من الله تعالى، أو الفقه الإسلامي المأخوذ من هذه المصادر.

والنظام الرأسمالي لا يمتلك أساسًا صحيحًا أو مبنيًّا على العقل يبيِّن كيفية تعيين ما هو حق وما هو باطل في سلوك الناس، أو ما هو حسن وما هو قبيح، وفي كيفية حيازتهم للثروة أو التصرُّف بها. فهو يقرر مصادر القوانين ويضع القوانين من غير إثبات لصحة هذه المصادر أو صحة هذه القوانين أو كونها حقًّا؛ لذلك فهو يعتمد في ذلك على الميول والأهواء وعلى الرغبات والشهوات. وينتج عن ذلك تحكُّمُ أصحاب النفوذ والمال والأقوياء بغيرهم من أفراد المجتمع أو من المجتمعات الأخرى.

وبما أن النظام الرأسمالي لا يمتلك أساسًا صالحًا لتعيين مصادر القوانين ولإثبات حقوق الأفراد وواجباتهم، فهو يتنصّل من هذا الأمر بزعم الحريات للأفراد، وتتركز أبحاثه ودراساته على خصائص الأشياء وخصائص الإنسان وسلوكه، ويسند أصحاب هذه الأبحاث أفكارهم إلى هذه الدراسات زاعمين الاستناد إلى العلم، فيخلطون ويجعلون علم الاقتصاد والنظام الاقتصادي شيئًا واحدًا، بينما هما في الحقيقة موضوعان مختلفان.

أما الإسلام، فإنه يبين النظام الاقتصادي، وقد جاءت أحكامه متعلقة بأفعال الناس وتصرفاتهم فيما يتعلق بالمال وبالانتفاع بالثروة، فجاءت لتبيِّن كيفية تملك المال، وكيفية التصرف به تنمية وإنفاقًا وبذلًا، وكيفية إشباع الحاجات، وعلى من تقع مسؤولية ضمان هذا الإشباع من والد، أو ولد، أو زوج، أو أقرباء، أو الأمة، أو الدولة.

وليس من أبحاث النظام الاقتصادي ولا من أحكامه البحث في كيفية إيجاد الثروة أو المال أو زيادته أو زيادة الإنتاج من سلع وخدمات، فهذا يتعلق بالعلوم وبعلم الاقتصاد وليس بالنظام الاقتصادي. وهو وإن حثَّ عليه الشرع وأوجب تحصيل علومه والسعي في نصح الرعية وتحقيق ما هو أصلح لها، فهو يدخل في المباحات من خطط وأساليب السياسة الاقتصادية الشرعية، وهو مما أخبر عنه النبي ﷺ أنه من شؤون الدنيا: **(أنتم أدرى بشؤون دنياكم)**، فليس من أبحاث النظام الاقتصادي الأبحاثُ العلمية التي تكشف عن كيفية استصلاح الأراضي أو زيادة إنتاجها وتحسينه، ولا في كيفية تطوير الإنتاج الحيواني ولا في دراسات الأسواق والاستهلاك والتسويق، ولا في دراسات الجدوى أو أبحاث العمليات الاقتصادية.

والمشكلة الاقتصادية في نظر النظام الرأسمالي هي الندرة النسبية للسلع والخدمات ولوسائل الإشباع؛ لذلك يهدف هذا النظام إلى زيادة الإنتاج وتوفير الخدمات في السوق. ويرى أنه بهذا يحل المشكلة ويتمكن الأفراد من الحصول على هذه الوسائل ومن إشباع حاجاتهم عن طريق الثمن. والثمن يضمن التوزيع العادل - بنظرهم - للثروة؛ إذ هو القيد الذي يجعل الإنسان يتوقف عن

الحيازة والاستهلاك عند الحد الذي يتناسب مع موارده. والحصول على الثمن أو على ما يقابل الثمن من سلع وخدمات هو الدافع للإنتاج ولبذل المجهود؛ وبهذا يكون الثمن أو جهاز الثمن هو المنظم الطبيعي لتوزيع الثروة على الأفراد.

وهذا من أغرب ما يمكن أن يقوله أو أن يقبله عاقل، وهو لا ينمُّ إلا عن عجز أو عن ضلال في التنظيم. إذ هو يحكم بالموت أو الحرمان على من قصرت به مواهبه أو قواه عن بذل المجهود أو الإنتاج، أي على من لا يملك الثمن.

إن المشكلة الاقتصادية ليست في إيجاد الثروة ولا في الإنتاج أو زيادته، فالبشر يندفعون طبيعيًّا لإشباع حاجاتهم ولحيازة الثروة وللإنتاج وزيادته لينتفعوا بذلك. والثروة موجودة وليست المشكلة في إيجادها، **وإنما المشكلة هي في كيفية امتلاكها وفي كيفية التصرف بها بما يؤدي إلى تمكين كل فرد من إشباع حاجاته، فلا يستأثر بها الأغنياء والأقوياء مما يؤدي إلى كثرة الفقراء وإلى الاستغلال والاستبداد، وإلى شيوع الفقر والحرمان والبطالة ولو كثر المال.**

وسياسة الاقتصاد في الإسلام هي الهدف الذي ترمي إليه الأحكام التي تعالج تدبير أمور الإنسان، فهي ضمان تحقيق الإشباع لجميع الحاجات الأساسية لكل فرد إشباعًا كليًّا، وتمكينه من إشباع الحاجات الكمالية بقدر ما يستطيع باعتباره يعيش في مجتمع معيَّن له طراز خاص من العيش.

وقبل بيان القواعد التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام لا بد من تقديم بعض **التعريفات** ذات الصلة بالموضوع:

إن الثروة هي مجموع المال والجهد.

١. المال هو كل ما يتموَّل للانتفاع به بالشراء أو الإجارة أو الهبة أو القرض أو الإعارة... ويشمل المال النقد كالذهب والفضة والدولار والجنيه والريال... والسلع كالثياب والأغذية... والعقارات كالدور والمصانع... وغير ذلك مما يتموَّل.

٢. الجهد هو الجهد الفكري والجهد الجسمي الذي يبذل لإيجاد مال أو منفعة مال.

٣. المنفعة هي صلاحية الشيء لإشباع حاجة الإنسان.

٤. يكون الانتفاع بالشيء إما باستهلاك عينه إفناءً كالتفاحة والرغيف. أو بعدم استهلاكها كالسيارة وكسكنى الدار.

٥. قيمة الشيء أو السلعة هي مقدار ما فيها من منفعة، وهي شيء حقيقي لا يتغيَّر حسب الشخص، وشبه ثابت مع ملاحظة عامل الندرة، وهي غير الثمن.

٦. ثمن الشيء أو السلعة هو أحد مقاييس القيمة بحسب تقدير المجتمع، وهو يعتمد على حقيقة القيمة، وعلى كثرة أو قلة العرض أو الطلب، وعلى الشخص. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

المشكلة الاقتصادية والسياسة الاقتصادية... ومكافحة الفقر.

الأستاذ أحمد القصص

إنّ النظام الاقتصادي من حيث هو تشريع للإنسان إنّما وظيفته كما سائر التشريعات أن يعالج المشكلة الإنسانية. والمشكلة هُهنا هي المشكلة الاقتصادية، أي قضيّة تداول الثروة بين الناس، سواء أكانت هذه الثروة أموالًا عينية -وهي ما يسمّى في التعبير المعاصر بالسلع- أم كانت جهودًا ذات منافع، وهي ما يسمّى بالتعبير المعاصر بالخدمات؛ من هنا كان حجر الزاوية في التشريع الاقتصادي تحديد المشكلة الاقتصادية، أي: ما القضيّة التي ينبغي للنظام الاقتصادي أن يعالجها؟

وهذه المشكلة التي ينبغي أن يعالجها النظام الاقتصادي يفترض أن تكون مشكلة الإنسان من حيث هو إنسان، ومشكلة الجماعة البشرية من حيث هي جماعة بشرية. فإذا عالج التشريع هذه المشكلة يكون قد أعطى علاجًا للإنسان من حيث هو إنسان، وللجماعة البشرية من حيث هي جماعة بشرية، لا لمشكلة عارضة هنا أو هناك، فيكون هذا النظام صالحًا للإنسان والجماعة البشرية في كلّ مكان وزمان.

إنّ آفّة التشريعات الوضعية -ومنها أنظمة الاقتصاد- أنّها لا تعالج المشكلة الإنسانية، وإنّما توضع لمعالجة مشكلات عرضية ألـمَّت بمجتمع من المجتمعات له ظروفه الحضارية والتاريخية. فالنظام الرأسمالي مثلًا نشأ في ظروفِ تداعي النظام الإقطاعي الذي عرفته المجتمعات الغربية قرونًا في العصور الوسطى. والأنظمة الاشتراكية بدورها وبشتّى أشكالها نشأت ردَّ فعل على الأزمات التي ولّدها النظام الرأسمالي في البلاد التي طُبّق فيها، وفرارًا من الظلم الذي أنتجته حين ركّزت الثروةَ في أيدي فئة قليلة من حيتان المال، مقابل الغالبية التي عانت الفقر والحرمان. فكان تصوّر المشكلة الاقتصادية المتأثر بالواقع الخاصّ الذي عاشه المنظّرون الاقتصاديون هو حجر الزاوية الذي أُسّست عليه التشريعات الاقتصادية بشتّى أشكالها.

ونحن معنيّون في واقعنا الحاضر بنقد تصوّر النظام الرأسمالي للمشكلة الاقتصادية، فهذا التصوّر هو الذي أنتج النظام الرأسمالي. فقد صوَّر المشرّع الرأسمالي المشكلة الاقتصادية بأنّها «الندرة النسبية للسلع والخدمات». فالإنسان في نظر الرأسمالية وتصوّرها لمعنى الحياة تزداد رغبته باستمرار واطّراد بالسلع والخدمات ولا تتوقّف عند حدّ، بينما تقف محدودية السلع والخدمات حجر عثرة أمام هذه الرغبات، ما يحدّ من إمكانية إشباعه رغباته، وبالتالي من سعادته وفق

تصوير الحضارة الغربية للسعادة؛ وعليه كانت مهمّة التشريع الاقتصادي أن تضع الأنظمة الكفيلة بزيادة هذه الثروة باستمرار واطّراد لتمكين الإنسان من إشباع أكبر قدر من رغباته من خلال الحصول عليها؛ ما يعني أنّ المشرّع الرأسمالي لم يفرّق بين النظام الاقتصادي وعلم الاقتصاد؛ وهذا ما يفسّر طغيان مصطلحات النموّ والتنمية وارتفاع الدخل القومي وما شاكلها في الاقتصاد المعاصر الذي يهيمن عليه الفكر الرأسمالي. أمّا كيفية توزيع الثروة على أفراد المجتمع، بحيث تُشبَع الحاجات الأساسية لكلّ فرد، فإنّ المشرّع الرأسمالي يرى أنّها ليست وظيفة النظام الاقتصادي، وإنّما هي في نظره متروكة للتنافس الحرّ وقاعدة العرض والطلب، فمن رغب بالسلعة أو الخدمة وجب عليه أن يبذل من الجهد ما يمكّنه من الحصول على ثمن السلعة أو الخدمة ليحصل عليها. فكانت نتيجة هذا النظام الرأسمالي الناشئ من هذا التصوّر للمشكلة الاقتصادية أنّ الثروة القومية ازدادت ازديادًا هائلًا؛ ولكنّ قلّة قليلة من الناس نالت أضعافًا مضاعفة عمّا يشبع حاجاتها، بينما حصل الغالبية الساحقة من الناس على القليل ممّا لا يشبع حاجاتهم الأساسية.

أمّا التشريع الاقتصادي الإسلامي فإنه يخالف هذا التصوّر للمشكلة الاقتصادية كليًّا. فهو أوّلًا تشريع من عند الله تعالى للإنسان، وليس من صنع الإنسان. وبالتالي فإنه لم ينزل ليعالج مشكلة اقتصادية عارضة في ظرف تاريخي وحضاري معيّن. فالتشريع الإسلامي الذي نزل على رسول الله ﷺ في جزيرة العرب جاء ليعالج المشكلة الاقتصادية للإنسان من حيث هو إنسان، وللجماعة البشرية من حيث هي جماعة بشرية، وليس للعرب في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. فظهرت نتائجه باهرة بقدر ما أحسن فهمه وتطبيقه، في كافّة أصقاع الأرض على اختلاف بيئاتها وعاداتها وأشكال أنشطتها الاقتصادية. وبالتالي فإنّ المشكلة الاقتصادية التي جاء التشريع الإسلامي لمعالجتها لم يكن تصوّرها متروكًا للمنظّرين المسلمين ولا لفقهاء الإسلام ولا لمجتهديه، على الرغم من قدرة الإنسان على إدراك هذه المشكلة. وإنّما جاء التشريع الإلهي وفقًا لها بطبيعة الحال، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

ومِن تتبُّع التشريع الاقتصادي الإسلامي، فضلًا عن إدراك واقع الإنسان والجماعة البشرية نجد أنّ المشكلة الاقتصادية التي ينبغي للنظام الاقتصادي معالجتها ليست ندرة السلع والخدمات كما صوّرها النظام الرأسمالي. فالسلع والخدمات التي يطلبها الإنسان بطبيعته وإشباعًا لحاجاته العضوية وبعض جوعات غرائزه إنّما هي الموارد الطبيعية التي خلقها الله تعالى وسخّرها للإنسان، إضافة إلى المواهب والقدرات الفكرية والجسدية التي وهبها الله تعالى للناس والتي تؤهلهم

لتبادل منافع هذه الجهود الفكرية والجسدية ولتسخير الموارد الطبيعية والانتفاع بها من خلال الصناعة والزراعة. والحالات التي تندر فيها هذه الأعيان والمنافع إنّما هي حالات عابرة واستثنائية، ينبغي أن تعالج حين وقوعها. كما أنّه من حقّ الناس أن يزدادوا من السلع والخدمات عبر تثمير الثروات الطبيعية والمواهب البشرية، وهذا كلّه يندرج في علم الاقتصاد المتروك لتدبير الناس ومعرفتهم، وهو ما قال عنه النبيّ ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**». وليس من النظام الاقتصادي الذي هو قضيّة تشريعية.

أمّا المشكلة الاقتصادية الحقيقية فهي كيفيّة توزيع هذه الثروة بين الناس توزيعًا عادلًا بحيث يحصل كلّ إنسان ضرورةً على ما يكفيه لإشباع حاجاته الأساسية، وبحيث يُمكَّن كلٌّ منهم أيضًا من تحقيق حاجاته الكمالية بقدر ما يرغب ويستطيع. هذه هي المشكلة الاقتصادية التي جاء نظام الاقتصاد في الإسلام ليعالجها والتي شرع لها منظومةً من الأحكام الشرعية تؤدي إلى معالجتها العلاج الناجع.

فالإسلام على الرغم من تشجيعه على الإنتاج وزيادة الثروة على صعيد الفرد والجماعة فإنّه لم يأتِ لتبيان وسائل زيادة الثروة، وترك هذه الوسائل والأدوات للإنسان وخبراته وإبداعه. أمّا كيفيّة توزيع الثروة بين الناس لتتحقّق العدالة في هذا التوزيع فهذا ما جعله الإسلام قضية للتشريع الاقتصادي، فكانت الأوامر والنواهي والتخييرات المتعلّقة بأفعال العباد والمتّصلة بالمال وتداوله هي موضوع النظام الاقتصادي في الإسلام. ووفق هذه المشكلة التي شُرع لعلاجها نظامُ الإسلام أتت السياسة الاقتصادية الإسلامية. وهذا ما ينقلنا إلى الحديث عن السياسة الاقتصادية. فالسياسة الاقتصادية هي الغاية التي يهدف إليها النظام الاقتصادي بأحكامه وقوانينه التي يتكوّن منها، بحيث إن طُبّق هذا النظام، أي إن طُبّقت أحكامه وقوانينه، حَقّق في واقع الناس الخاضعين له هذه الغاية.

فما السياسة الاقتصادية التي جاء بها الإسلام؟

السياسة الاقتصادية في الإسلام هي تحقيق إشباع الحاجات الأساسية لأفراد الرعية فردًا فردًا إشباعًا حتميًّا، وتمكين هؤلاء الأفراد جميعًا من تحقيق حاجاتهم الكمالية بقدر ما يرغبون ويستطيعون، بوصف هؤلاء الناس يعيشون في مجتمع له طرازه في العيش. وعليه فإنّ هذه السياسة تعني بالتفصيل ما يلي:

١- إذا كانت الحاجات الأساسية لكلّ إنسان، تتمثّل في المأكل والملبس والمسكن، فقد كفل نظام الإسلام إشباع هذه الحاجات لكلّ فرد إلزامًا؛ بحيث لا يجوز أن يُترك في الدولة أحد من الرعايا دون قوت أو ملبس أو مسكن يأوي إليه، وبحيث إنّ الفرد الذي لا يستطيع أن يؤمّن هذه الحاجات لنفسه وجب تأمينها له إلزامًا. وهذا يعني بكلّ بساطة القضاء على

الفقر؛ من حيث إنّ الفقر هو العجز عن إشباع الحاجات الأساسية.

٢- ما زاد عن هذه الحاجات هو الحاجات الكمالية، ولكلّ إنسان الحقّ بأن يسعى إلى تحقيق هذه الحاجات الكمالية، بحيث لا يُمنع من زيادة ثروته، فلا يجوز للنظام الاقتصادي أن يضع سقفًا معيّنًا للثروة التي يمتلكها الإنسان من الطرق المشروعة.

٣- إنّ حقّ الإنسان في الحصول على المال تملُّكًا وتنميةً، يجب أن يُلحظ فيه أنّ هذا الانسان يعيش في مجتمع ذي طراز معيّن من العيش، هو طراز العيش الإسلامي الذي يوجب ما يوجب ويحرّم ما يحرّم ويبيح ما يبيح؛ لذا فإنّ الإسلام لم يكتفِ بتشريع ما يحقّق حسن توزيع الثروة بين الناس ورفاهيتهم، وإنّما أوجب في المال أمورًا وحرّم أخرى، وجوبًا وتحريمًا يؤدّيان إلى تحقيق الأهداف العليا التي شرعها الإسلام تَوصُّلًا إلى الحياة الإسلامية. وهذه الأهداف هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والملكية الفردية والكرامة الإنسانية والدولة والأمن. فأوجب في المال نفقات لتحقيق هذه الأهداف العليا، وحرَّم وسائل في التملّك وفي تنمية المِلكية حفاظًا عليها أيضًا. فجعل الخمرة والخنزير مثلًا مِلكيّة غير شرعية، أي نفى عنها صفة الملكيّة وحرّم على المسلم تملّكها والانتفاع بها بأيّ شكل من الأشكال، وحرّم تنمية الملكيّة بالقمار والربا، وحرّم التملّك من طريق البغاء. وعند النظر في الواجبات في المال والطرق المحرّمة في التملّك وتنمية الملكيّة نجد أنّ قسمًا من هذه الواجبات والممنوعات لا يتعلّق بتوزيع الثروة مباشرةً بقدر ما يتعلّق بالحفاظ على طراز العيش الذي أتى به الإسلام؛ بحيث يكون النظام الاقتصادي جزءًا من سائر أنظمة الإسلام التي شُرعت لتُنشئ مجتمعًا ذا طراز معيّن من العيش، نسمّيه الحياة الإسلامية؛ وعليه لا يقبل الإسلام إنشاء دور اللهو المحرّم ولا المراقص ولا الفنادق المتفلّتة من أحكام الشرع ولا دور السينما التي تعرض الإباحيات، بذريعة تنشيط حركة الاقتصاد وجذب السيّاح وزيادة الثروة الأهلية أو الدخل القومي.

وبالعودة إلى قضيّة القضاء على الفقر الذي هو من أهمّ أهداف النظام الاقتصادي في الإسلام، فما هي الأحكام التي شرعها الإسلام للتوصل إلى هذا الهدف؟

إنّ أهمّ جانب يحدُّ من ظاهرة الفقر في النظام الاقتصادي الإسلامي هو طبيعة النظام نفسه؛ من حيث الطرق التي أباحها والطرق التي حرّمها في التملّك وفي تنمية المِلكيّة الفردية، ومن حيث تقسيمه أنواع الملكية إلى ملكيةٍ فردية وملكيةٍ عامّة وملكيةِ دولة، ومن حيث ما فرضه من واجبات في المال الذي يمتلكه أفراد الرعية، ومن حيث تدَخّل الدولة للحفاظ على توازن توزيع الثروة.

أمّا من حيث الطرق التي حرّمها الإسلام في التملّك وتنمية الملكيّة، فممّا حرّمه الإسلام

الربا، ولا يخفى على أحد ما أحدثته البنوك الربوية التي أنشأها النظام الرأسمالي من كوارث تتمثّل في سحب أموال عامّة الناس إلى جيوب فئة قليلة منهم، فصار المال دُولة بين الأثرياء حيتان المال. وممّا شرعه الإسلام هو أحكام الشركات التي تضمّنت شروطًا لصحّة الشركات التجارية والربحية؛ بحيث تكون وفق هذه الشروط شركاتٌ رأسمالية كشركات الأسهم غير جائزة. ولا يخفى على عارف أيضًا أنّ هذا النوع من الشركات يؤدّي الدور نفسه الذي تؤدّيه المصارف الربوية من حيث سحبها لأموال عامّة الناس وتركيزها في أيدي فئة قليلة من رجال المال والأعمال وحيتان المال، وتؤدّي في كثير من الأحيان إلى تبديد أموال الناس وتحويلهم في غفلة من أنفسهم إلى فقراء معدمين. ومنها تحريم الإسلام لأنواع من العقود الرائجة اليوم بفعل النظام الرأسمالي، من مثل بيع الديون وبيع ما ليس عند البائع، ما يؤدي إلى نشوء عقود ومعاملات بأموال طائلة تباع وتشترى فيها سلع افتراضية لا وجود لها في الواقع، وتكون نتيجتها في كثير من الأحيان نتيجة ألعاب القمار من انتقال أموال طائلة من أشخاص كثر إلى جيوب قلّة من الناس، وسوى ذلك من أشكال العقود التي حرّمها الإسلام والتي تؤدّي إلى تركيز الثروة وجعلها دُولة بين فئة صغيرة من الناس.

وأمّا من حيث تقسيم الإسلام الملكية إلى ملكية فردية وملكية عامة وملكية دولة، فإنّ ما جعله الإسلام من الأموال ملكية عامّة يؤدّي دورًا كبيرًا في الحؤول دون تركيز الثروات بأيدي فئة الأثرياء. فثمّة ثروات حرّم الإسلام على الأفراد تملّكها وجعلها ملكية لجميع الناس. ومن أهم أقسام هذه الملكية مناجم المعادن بشتّى أشكالها وآبار النفط والغاز، وقد جعل الشرع استخراجها وتوزيع ريعها على الرعية عمومًا موكولًا إلى الدولة. ولا يخفى على أحد أن هذه من أعظم الثروات التي تجعل الدول الممتلكة لها من أثرى دول العالم حتّى لو لم تكن دولًا منتجة أو ناهضة صناعيًا أو زراعيًا. والإسلام حرّم أن تُملَّك هذه الملكيات لأفراد أو لشركات خاصّة من طريق بيع أصولها أو منح امتياز استثمارها كما يحصل اليوم في معظم دول العالم، ومنها دول العالم الإسلامي. وبالتالي فإنّ ريع هذه الملكية يشكّل ضمانة كبيرة لتوازن توزيع الثروة بين الرعية.

وأمّا من حيث تدخّل الدولة للحفاظ على التوازن في توزيع الثروة فإنّ الدولة معنيّة بأن تهَبَ من أموالها التي هي من صنف ملكية الدولة لأشخاص دون آخرين بحيث تخصُّ ذوي الدخل المحدود وأصحاب المشاريع الصغيرة لترفع من مستواهم بناء على قوله تعالى: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾. وهذا ما فعله النبيّ ﷺ حين كان يوزع أموال الفيء على الفقراء من الصحابة دون الأغنياء.

وأمّا من حيث ما فرضه الإسلام في أموال الرعية من واجبات، فأهمّ ما يُذكر منها هو

فريضة الزكاة التي فرضها الإسلام على رؤوس الأموال وعروض التجارة والنقود التي هي الذهب والفضة في الإسلام وعلى المواشي وأنواع من المحاصيل الزراعية؛ حيث جعل الشرع الفقراء والمساكين والغارمين من أهمّ مصارف أموال الزكاة. هذه الفريضة تشكّل بحسابات بسيطة ضمانة كبيرة إضافية لحفظ التوازن في توزيع الثروة. أضف إلى ذلك ما أوجبه الشرع من زكاة الفطر وكفّارات بعض المخالفات الشرعية وما ندب إليه من الصدقات والأضاحي، وحضّه على القرض الحسن. كذلك ما فرضه الشرع من واجب النفقة على كلّ قادر يملك ما يفيض عن حاجته على الأشخاص الذين أوجب عليه إعالتهم؛ بحيث لا تقتصر النفقة شرعًا على الزوجة والأولاد الصغار، وإنما تتجاوزها إلى الوالدين والأولاد الكبار العاجزين فعلًا أو حكمًا عن إعالة أنفسهم، بل ويتعدى هؤلاء إلى كلّ من هو وارث له في حال وفاته، فتشمل الأحفاد والأجداد والإخوة وأبناء الإخوة على الترتيب في الوجوب.

وأخيرًا، وفوق ذلك كلّه لم يكتفِ الإسلام بهذه الضمانات لمكافحة الفقر، وإنما شرع أحكامًا مفصَّلة تستهدف القضاء على فقر كلّ فرد بعينه، وذلك على الترتيب التالي:

١- أوجب الشرع على كلّ رجل قادر العمل لتأمين حاجاته الأساسية وحاجات من يعيلهم من زوج وأولاد وغيرهم كما أسلفنا. فلا يجوز لقادر على العمل والكسب أن يمتنع عن العمل وأن يكون عالة على غيره.

٢- قد يكون الشخص قادرًا على العمل حكمًا ولكنّه في ظرف من الظروف يعجز عن إيجاد عمل لنفسه، ففي هذه الحالة وجب على الدولة أن تؤمّن له عملًا يعيل به نفسه وعياله.

٣- من كان عاجزًا عن العمل حكمًا أو فعلًا ولم تجد له الدولة عملًا أو وظيفة وجب على وارثه أن يعيله إذا كان هذا الوارث يملك ما يفضل عن مستوى عيشه، لا عن حاجاته الأساسية. أي إن كان لديه فضلُ مالٍ فوق ما ينفقه على نفسه وفق مستوى عيشه وجب عليه أن يعيل الفقير الذي هو وارث له في حال موته.

٤- من كان فقيرًا لا يجد ما يشبع حاجاته الأساسية وليس له معيل من ورثته قادر على إعالته وجب على الدولة أن تنفق عليه؛ بحيث توفّر له حاجاته الأساسية من مأكل وملبس ومسكن.

هذا باختصار تصوّر الإسلام للمشكلة الاقتصادية، والسياسة الاقتصادية في الإسلام، ونهج الإسلام في القضاء على الفقر. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

العقلية الترويضية وأثرها في استعمار الشعوب

أبو صهيب الصعصاع

هناك نظرية تسمى: (نظرية القرود الثلاثة)؛ حيث قام علماء في الغرب بإجراء تجربة على مجموعة من القرود وضعوهم ضمن قفص في وسطه درج يصل إلى منصة، وفوق المنصة عُلق عنقود موز. بعد فترة جاع أحد القرود فصعد الدرج باتجاه المنصة ليأكل الموز، فلجأ القائمون على التجربة برشق القرود جميعًا بالماء البارد، رجع القرد إلى مكانه، ثم في فترة أخرى حاول قرد آخر الوصول إلى الموز فلاقى جميع القردة عقوبة الرشق بالماء البارد، وكلما حاول أحدهم الوصول إلى الموز رشقوا جميعًا بالماء البارد حتى ألغَوا فكرة الوصول إلى الموز.

قام المشرفون على التجربة بإخراج أحد القرود واستبداله بقرد جديد وعندما جاع القرد الجديد حاول الصعود إلى المنصة فمنعه القردان الآخران وقاموا بضربه، ثم قام المشرفون باستبدال قرد من الذين كانوا موجودين في بداية التجربة بقرد جديد آخر، فلجأ القرد الجديد بفطرته للحصول على الموز فأشبعه الآخرون ضربًا، ثم قام المشرفون باستبدال القرد الأخير الذي تعرض للرش بالماء عند التجربة الأولى بقرد جديد والذي حاول أيضًا الوصول إلى الموز كالذين سبقوه فقام الآخرون بضربه رغم أن جميع القرود الذين في القفص لم يتعرضوا للرش بالماء البارد.

هذه المقدمة مهمة لنعرف معنى الترويض وأثره السيء على الإنسان عندما نتعامل معه كما التعامل مع الحيوان؛ حيث إن الترويض يركز على المشاعر التي هي إحساسات الغرائز، من ألم وضيق وحزن وانتعاش وفرح .... إلخ.

في القرن السابع الهجري طرأ الانحطاط والضعف على أذهان المسلمين في فهم الإسلام، وبدأت تحلُّ العقلية الترويضية مكان العقلية المستنيرة في الحكم على الأفعال، وكان سبب هذا الضعف هو فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية حين أُهمل أمر اللغة العربية في فهم الإسلام وأدائه منذ أوائل القرن السابع الهجري؛ لأن اللغة العربية هي لغة الإسلام وجزء جوهري فيه، ولأنّها الطاقة اللغوية التي حملت طاقة الإسلام فامتزجت بها بحيث لا يمكن أداء الإسلام أداء كاملًا إلاّ بها، وقد نتج عن فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية توقف الاجتهاد فزاد الطين بلة.

ومما جاء في كتاب مفاهيم حزب التحرير ما يلي: «ولكن بعد تدوين مذاهب المجتهدين وتركيز القواعد والأحكام ضعفت فكرة الاجتهاد في النفوس وقل المجتهدون؛ فغلب على المسلمين التقليد وندر فيهم الاجتهاد، حتى وصل طغيان فكرة التقليد أن وجد من

يقول بإقفال باب الاجتهاد وبوجوب التقليد، ومن أجل ذلك صارت الأكثرية الساحقة في المسلمين إن لم يكن كلهم من المقلِّدين» أ.هـ.

ومن هنا فتح الباب على مصراعيه للعقلية الترويضية التي كان من نتائجها أن ضعفت التقوى في نفوس المسلمين، فهان عليهم أن يسكتوا على الخلفاء والحكام إذا حكموا بالكفر في مسألة واحدة، ثم لما تزايد فيهم الضعف هان عليهم أن يسكتوا عن الحكام إذا حكموا بالكفر في عدد من المسائل. فكانت عاقبة هذا السكوت في المدى البعيد أن تجاسر الحكام على تطبيق أحكام الكفر بشكل ظاهر، فقد سكت المسلمون في مصر حين طبق الحاكم القانون المدني الفرنسي سنة ١٨٨٣م وأزال أحكام الشرع، ثم سكت المسلمون في الدولة الإسلامية حين وضعت أحكام الكفر دستورًا للمسلمين سنة ١٩٠٩م، مع أنهم ثاروا عليها أولًا ثم سكتوا عنها؛ ولهذا لم يكن غريبًا أن يقوم مصطفى كمال بهدم الخلافة، وهدم جميع أحكام الإسلام، وإعلان حكم الكفر.

ولأن العقلية الترويضية سيطرت على المسلمين فإن هذه القضية نزلت عند المسلمين عن مرتبة القضية المصيرية، فكان ما كان، وصار هيِّنًا على المسلمين أن يظهر فيهم الكفر البواح ولا يحملون السيف لإزالته، بل صار هيِّنًا عليهم أن يحكموا بنظام الكفر ولا ينكرونه، بل إن فريقًا كبيرًا منهم قد استساغ أحكام الكفر وتعود عليها، وترك حكم الإسلام اختيارًا.

وبما أنه عندما تخلى المسلمون عن وظيفتهم التي أوكلها الله إليهم بأن يكونوا الأعلَون وسادة العالم وحملة رسالة الإسلام إلى البشرية، فمن الطبيعي أن يتنحَّوا عن الطريق ويُفسحوه لغيرهم بإرادتهم أو بغير إرادة منهم، فسنن الله لا تحابي أحدًا.

وكما أن السياسة لا تحتمل الفراغ، فإنني أزعم أن ساحة الفكر أيضًا لا تحتمل الفراغ؛ لذلك ظهرت الرأسمالية بعد الصراع الدموي المعروف بين المفكرين وأتباع الكنيسة، مما حدا بالطرفين إلى الاتفاق في النهاية على حسم الصراع وتنازل كل من الطرفين لبعضهما واتفقا على (حل وسط) بأن يعترفوا بالله ضمنًا، وفي الوقت نفسه لا شأن للكنيسة بالحكم أو التدخل فيه بل يحكم الإنسان نفسه بنفسه. ولما وقفت الرأسمالية على أقدامها بعد انتهاء الصراع، بدأت بعملية الترويض العقلي لشعوبها أولًا، ومن ثم انتقلت بعد استعمارها لشعوب العالم لترويض الشعوب المستعمَرة - ومنها الشعوب الإسلامية - بوحشية لم يشهد التاريخ لها مثيل. وقد لجأت الرأسمالية إلى الترويض العقلي لأن الفكرة الكلية التي قامت عليها لا تقنع العقل ولا توافق الفطرة فدبَّ القلق والاضطراب في حياة المحكومين الذين يرزحون تحت حكمها؛ فاضطرت بسبب ذلك إلى حكم الناس بصرامة القانون وقوة حكمها.

وما ينطبق على الرأسمالية ينطبق أيضًا على الاشتراكية التي افترضت مسبقًا أن الكون والإنسان والحياة مادة وأنكرت وجود خالق خلق كل ذلك، وقالت إن النظام المنبثق عن هذه الفكرة الكلية ينتج من تطور المادة ووسائل الإنتاج؛ ونتيجة لذلك اضطرت الاشتراكية إلى الترويض العقلي لأن الفكرة الكلية فيها بُنيت على المادة ولم تبنَ على العقل، والنظام الذي انبثق عن الفكرة الكلية صاغه مجموعة من مفكري الحزب الشيوعي المستأثر بالحكم حينذاك. فالفكرة الاشتراكية مصادمة للعقل وملغية للفطرة؛ ما أدى إلى شقاء كل من خضع لهذه المنظومة. وحتى يتم لها الترويض العقلي حكمت الشعوب الرازحة تحت حكمها من مسلمين وغير مسلمين بالنار والحديد، وقتلت وهجَّرت وشرَّدت الملايين من بيوتهم وبلادهم.

ولأن المبادئ من طبيعتها الصراع لا الالتقاء كما يزعم البعض ممن تأثروا بالعقلية الترويضية بأنها تلتقي وتتقاطع، فإن الرأسمالية خاضت مع الاشتراكية صراعًا مريرًا أدى إلى انهزام الدولة الاشتراكية في ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م بالضربة القاضية ولم تقم لها قائمة بعد ذلك.

وهنا فرغت الساحة للرأسمالية ولم يبقَ لها عدو مبدئي له دولة يواجهها في ساحة الفكر. ولأن الرأسمالية لا تستطيع العيش والاستمرار بلا عدو، استشعرت خطر المبدأ الإسلامي عليها، فأعلنت المعاداة للإسلام متمثلًا بحملة الدعوة من المسلمين الذين يدعون إلى إقامة الدولة الإسلامية، فأوحت لمراكز الأبحاث الاستراتيجية التابعة لها كمركز راند أن تعمل دراسة موسعة تشمل الإسلام والمسلمين وتخص الحركات الإسلامية المتواجدة في حياة المسلمين بالبحث والتحري، فخلصت هذه المؤسسة إلى نتائج نشرتها للعلن ولم تعد خافية على أحد. ومن هذه النتائج:

أنه يوجد بين المسلمين علمانيون ليبراليون خرجوا من عباءة الإسلام، ويوجد فيهم مسلمون معتدلون مزجوا بين الإسلام والعلمانية، ويوجد فيهم مسلمون أصوليون متطرفون. وأوصت الدراسة بإعطاء الأولوية والاهتمام بالإسلاميين المعتدلين مثل الحركات الصوفية وحركة الإخوان المسلمين. ووفقًا لما يذكره التقرير، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي:

١ - يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢ - يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.

٣ - يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولِّي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

٤ - يدعم التيارات الليبرالية.

٥ - يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: «التيار الديني التقليدي» أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و«التيار الديني الذي يقبل

المنظومة الغربية ويتوافق معها».

وبعد هذا نرى أن من حقنا أن نتساءل: كيف وصلت هذه الحركات الإسلامية إلى الدرجة التي يرضى عنها الساسة الرأسماليون؟

هنا نعود إلى العقلية الترويضية التي هي أساس من أساسيات هذه الحركات ما عدا حزب التحرير، فكل الحركات الإسلامية الموجودة في واقعنا اعتمدت في تثقيف أعضائها على العقلية الترويضية. طاعة مطلقة، لا تسأل شيخك، من اعترض انطرد، ومن باح راح، والمريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل. والثقافة بنيت على مجرد العلم مما نتج عنه كتبًا تتحرك وبنيت على المواعظ والإرشادات فكانت خالية من حرارة الإيمان؛ ما أنتج في النهاية خطرًا على العمل من وجهة النظر الإسلامية وتخديرًا له.

وهنا كذلك نقول إن للإسلام طريقة خاصة في التوصل إلى حقائق الأمور وطريقة خاصة في الدرس تخالف المبادئ الموجودة في العالم. وهذه الطريقة في الوصول إلى حقائق الأمور تسمى الطريقة العقلية في التفكير، وهي (نقل الحس بالواقع بواسطة الحواس إلى الدماغ مع وجود معلومات سابقة تفسر هذا الواقع). ومن ربط الواقع بالمعلومات أو ربط المعلومات بالواقع تنتج عندنا مفاهيم عن الحياة، وعند قياس هذه المفاهيم على قاعدة العقيدة الإسلامية تتكون عندنا العقلية الإسلامية.

ومن نتائج هذه المفاهيم أنها تعين السلوك للمسلم نحو الواقع المدرك، وتعين له نوع الميل لهذا الواقع من الإقبال عليه أو الإحجام عنه، ومن هذه الدوافع المرتبطة بالمفاهيم تتكون النفسية الإسلامية. ولما كانت العقلية والنفسية تستندان إلى قاعدة واحدة هي العقيدة الإسلامية؛ فإنها تكوِّن لدينا شخصية إسلامية متميزة.

أما طريقة الدرس في الإسلام فإنها تقوم على عاملين اثنين، أولهما: أن يكون العلم من أجل العمل، والثاني: أن يتلقى الدارس المعلومات تلقيًا فكريًّا مؤثرًا في المشاعر وموجدًا فيه التأهل والحماسة وغزارة المعرفة وتعلم الدارس الحقائق التي يعالج بها مشاكل الحياة. ولا تكون الدراسة في الإسلام لمجرد العلم فقط من غير أن ينتج عنها عمل، ولا مجرد مواعظ وإرشادات ينتج عنها السطحية الخالية من حرارة الإيمان. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْرَ آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيَهُنَّ، والعملَ بهنَّ**».

هذا هو الفرق بين العقلية الترويضية ونتائجها الخطرة على أصحابها وعلى العالم الذي تأثر بها ومنه العالم الإسلامي، وبين العقلية العميقة والمستنيرة التي بثَّها رسول الله ﷺ في أصحابه وبنى عليها دولته، ومنها انطلق شعاع النور إلى العالم أجمع. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء: بين وراثة الأنبياء، ووراثة المال وحب السلطان

الكاتب : سليمان المهاجري- اليمن

إن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا، وهو الأزليُّ الواجب الوجود في تمام صفات الكمال، ولم يُضِفْ له هذا الخلق شيئًا، وهو القائل: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٧-٥٨]. فعندما يشرع الله تعالى لنا أمرًا فهو يشرعه لمصلحة البشرية، إنه سبحانه يحب لصنعته أن تظفر بسعادة شريعته سبحانه؛ لذلك أنزل في التشريع «اِفعل ولا تفعل» وهو بهذا التشريع لا يريد أن يحدِّد حرية الحركة على الخلق إلا بما يحميهم، إنه يحدِّد حرية هنا ليحمي حرية هناك. فعندما حرَّم الله السرقة -على سبيل المثال - فالأمر شامل لكل البشر، فلا يسرق أحدٌ أحدًا. فالله سبحانه حين منع يدَ واحدٍ من السرقة، كان في ذلك منع لملايين الأيدي أن تسرق من هذا الإنسان، وفي هذا حماية لكل البشر من أن يسرق إنسان إنسانًا آخر، وفي ذلك كسب لكل إنسان، فحين نأخذ التشريع لا نأخذه على أنه مطلوب منَّا كأفراد فحسب، بل يجب أن نأخذه كمجتمع، بمعنى أنه مطلوب منك ومن غيرك، ومطلوب لك ولغيرك أيضًا.

من هنا، فإن كل إنسان يعيش تحت ظل شريعة الله، يكسب حياة مطمئنة من وجود التشريع، سواء أكان مؤمنًا أم كان من أهل الذمة. والشريعة الإسلامية إنما جاءت لصالح البشر جميعًا منذ أن خَلقَ الله أبو البشر آدم عليه السلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ورحمته سبحانه وسعت كل شيء، ومن رحمته سبحانه أنَّ رَكْبَ الأنبياء والرسل قد تواصل واستمر، والمنهج الذي جاؤوا به إنما جاء ليحقق مصلحة الناس ويوافق فطرهم ويقنع عقولهم ويملأ نفوسهم بطمأنينةِ وسكينةِ الإيمان. وهذا على عكس سائر المناهج الوضعية التي تعيش حالة من التناقض والتنافر وتولِّد الشقاء وحياة الضنك... هذا وقد اصطفى الله سبحانه سيدنا محمدًا ﷺ ليكون خاتم النبيين، ولتتحمل أمته من بعده أعباء الرسالة الخاتم، وليضمن بها بقاء المنهج صحيحًا وصراطًا مستقيمًا، عن طريق تطبيقه وحمله بالجهاد والدعوة إليه ونشره وإدخال الناس فيه إلى قيام الساعة؛ فكانت أمة محمد ﷺ هي من كان لها شرف حمل هذا الدين رسالة للعالمين وفي مقدمتها العلماء. روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**». وقد ذُكِر هذا الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾. وقد ذكر العلماء

مَعْنَيَين بالمقصود من الوراثة هنا، فقيل «العلماء ورثة الأنبياء في وجوب تبليغ الدين ونشره حتى يظهر على جميع الأديان». وقيل «الإنصات للعلماء والتوقير لهم لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء». وهناك من جعل الأُولى سببَ وجود الثانية، فقال «يجب توقير العلماء والإنصات لهم لأنهم هم الذين يحيون سُنَّتَه عليه الصلاة والسلام ويقومون بشريعته»، فلا توقير ولا إنصات بغير إحياء السنن والقيام بالشريعة وتطبيق الإسلام تطبيقًا شاملًا على الفرد والمجتمع والدولة حتى تتحقق الهيمنة الحقيقية لمنهج الله سبحانه. انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال.

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن العلماء إذا فعلوا ما أُمِروا به؛ فإن الله يرفعهم الدرجات العلى، قال تعالى: ﴿... يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾، وأما إن تجاهلوا علمهم ولم يفعلوا ما أمروا به، أو سخَّروا علمهم بالسعي وراء لعاعة الدنيا كالتكسُّب به، أو ليقال إنه عالم، أو لتحقيق مكانة في المجتمع، أو لكسب رضا الحكام وصرف الناس عن إنكار منكراتهم والتضليل على الناس بوجوب طاعتهم وحرمة الخروج عليهم - والعياذ بالله - وقد يكون المقصود ما تقدم جميعًا، فإنهم لن ينالوا من الله ما وعدهم، ولا يستحقون التوقير والإنصات، وسيكون عقابهم يوم القيامة أشد من غيرهم. روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامَةِ عليه، رجُلٌ استُشهِد، فأُتي به فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: قاتَلتُ فِيكَ حتى استُشهِدتُ، قال: كذَبتَ، ولكنَّكَ قاتَلتَ لِأَنْ يُقالَ جَرِيءٌ، فقد قيل، ثم أمَر به فسُحِب على وجهِه حتى أُلقِيَ في النارِ. ورجُلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمه وقرَأ القرآنَ. فأُتِي به، فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلمَ وعلَّمتُه وقرَأتُ فيكَ القرآنَ، قال: كذَبتَ، ولكنَّكَ تعلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ عالِمٌ، وقرَأتَ القُرآنَ لِيُقالَ هو قارِئٌ، فقد قيل، ثم أمَر به فسُحِبَ على وجهِه حتى أُلقِي في النارِ. ورجُلٌ وسَّع اللهُ عليه وأعطاه مِن أصنافِ المالِ كلِّه، فأتَى به فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: ما تَرَكتُ مِن سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفَقتُ فيها لكَ، قال: كذَبتَ، ولكنَّكَ فعَلتَ لِيُقالَ هو جَوَادٌ، فقد قيل، ثم أمَر به فسُحِب على وجهِه، ثم أُلقِي في النارِ**».

لذلك فإن من أوجب الواجبات العظيمة اليوم على المسلمين بعامة وعلى العلماء بخاصة، إقامة الدين وحمل رسالة الإسلام وتطبيق جميع أحكامه في دولة مطبقة للإسلام، حاملة للدعوة، حامية للمسلمين وواقية لهم من أعدائهم... وواجب على العلماء أولًا أن يبينوا للناس أمور دينهم، وما يُصلح لهم شأنهم في الدنيا والفوز في الآخرة. وهذا هو الميثاق الذي أخذه الله عليهم في كتابه الحكيم: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران:١٨٧]. ولنقف قليلًا مع أقوال المفسرين لهذه الآية الكريمة:

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هذا متصل بذكر اليهود؛ فإنهم أُمروا بالإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبيان أمره فكتموا نعته. فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم. قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب. فمن علم شيئًا فليعلِّمْه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة. وقال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية. وقال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٢]. وقال أبو هريرة: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء؛ ثم تلا هذه الآية ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أ. هـ.

وقال ابن كثير في تفسيره: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم. فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**» .أ. هـ.

هذا وقد قال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فعلى من يريد أن يكون من ورثة الأنبياء حقًّا وصدقًا أن يلتزم بهذه الآية، إذ يبلغ ما أُنْزِلَ من الله عز وجل كاملًا غير منقوص، وإلا صار كعلماء بني إسرائيل الذين يجعلون آيات الله قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا. ومِن أكملِ وأتمِّ الآيات في هذ المعنى، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾.

فالأنبياء في حياتهم يحكمون الناس بكتاب

الله سبحانه، وبعد وفاتهم تقع الأمانة على عاتق ورثتهم من العلماء الربانيين، فَهُمْ حفظة الدين وحملة لواء الشريعة بعد الأنبياء. ولأن الأمر لن يكون سهلًا، ولأن القائم بهذا سيتعرض لمخاطر وتهديدات، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كناية عن الذين يكرهون أحكام الله من أصحاب السَّطْوَةِ والجَاهِ -السلاطين والحكام- فلا تخشوا بطشَهم وقوَّتَهم، ولا تشتروا مغرياتهم وأموالهم بآيات الله وشريعته. كما حذّر سبحانه من ترك شيئًا قليلًا من أحكام الشرع إرضاء للرافضين لها والمعرضين عنها، فقال عز وجل ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وبلهجة أشد فيها تهديد ووعيد، قال العزيز الحميد ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾.

أُنظر يا من حفظت كتاب الله وسنة رسوله وحصلت على لقب العالِم الفلاني او فضيلة العلَّامة، إلى هذا الشيء القليل الذي حذَّر منه ربُّنا تبارك وتعالى نبيَّه ورسولَه المصطفى، عليه الصلاة والسلام، فهل تراه متحقِّقًا اليوم في من يزعمون أنهم وراثة الأنبياء؟ هل فُتِنوا عن بعض ما أنزل الله إليهم؟ هل ركنوا إلى الطواغيت ووافقوا أهواءهم في بعض الأحكام، منها على سبيل المثال لا الحصر (الحكم بغير ما أنزل الله - والتحاكم للكافر المستعمر ـ والتطبيع مع يهود بل وحمايتهم)؟ هل صدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝١٨٧﴾؟ **وهل يتنزل عليهم قوله جل وعلا** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾؟

وقد ذكر شيخ المفسرين الطبري في تفسيره لهذه الآية عددًا من الآثار التي تدل على أنها نزلت في أهل الكتاب الذين كتموا علمهم بنبوة محمد، عليه الصلاة والسلام، ثم قال: وهذه الآية، وإن كانت نزلت في خاصٍّ من الناس، فإنه معنيٌّ بها كل كاتمٍ علمًا فرضَ الله تعالى بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من سُئل عَن علم يَعلمهُ فكتمه ألجِمَ يوم القيامة بلجام من نار**» ا. هـ وقال صاحب المنار إن العبرة في الآية هي أن حكمها عام وإن كان سببها خاصًّا. فكما تقول القاعدة الشرعية «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» ، فكل من يكتم آيات الله وهدايته للناس فهو مستحق لهذه اللعنة. اهـ وها هي بعض مواقف لمن شهد لهم تاريخ الإسلام بالعلم ووراثة الأنبياء:

- **أبو حنيفة النعمان:** رفض رئاسة القضاء في عهد أبي جعفر المنصور وعُذِّب من أجل ذلك، وكان رده على المنصور بما

معناه لا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نَفْس يحكم بها عليك وعلى ولدك وقُوَّادك.

- **مالك بن أنس:** حاول المنصور منعه من ذكر حديث يحفظه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام لما يحمل من معانٍ تمثل خطرًا على سلطانه، فما استجاب رغم تعرضه للضرب والإهانة، وأبى كتم العلم.

- **سفيان الثوري:** كان كلما طلب منه المنصور أن يرفع إليه حاجته يُذَكِّره بظلمه وجوره والبذخ الذي يعيش فيه من أموال المسلمين، واستمرَّت مواقفه مع المهدي حتى عاش مطارَدًا، فلما سُئل عن ذلك، قال: «العالِم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا اجترَّ الطبيب الداء إليه، متى يداوي غيره؟!».

- **أحمد بن حنبل:** سُجِن عدة سنوات، وجُلِد أكثر من ألف جلدة، ومُنِع من التدريس، وتناوب على ظلمه ثلاثة من خلفاء العباسيين (المأمون، المعتصم، الواثق) فما أجابهم لطلبهم المخالف لكتاب الله وسنة رسوله.

- **محمد بن إسماعيل البخاري:** رفض الاستجابة لخالد الذهلي، أمير خراسان، عندما طلب منه أن يحضر إلى بيته من أجل تعليم أبنائه الحديث، وأصرَّ أن يحضروا هم إلى بيته مثل بقية الطلاب، فنفاه من بلدته حتى مات في المنفى.

أكتفي بهذه الأمثلة، فالمقام لا يتسع للاستقصاء، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتاب «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدري رحمه الله؛ ولكني ألفت الانتباه هنا إلى أن مواقف هؤلاء العلماء الذين تعرضوا بسببها لهذا الأذى كانت مع حكام يقيمون شرع الله، ويعادون أعداء الله ويجيشون الجيوش الإسلامية لمحاربتهم، فكيف ينبغي أن يكون من يسمَّون اليوم علماء في عصرنا الحاضر مع حكام يحاربون دين الله وشريعته ويوالون أعداء الأمة ويحكمون بغير ما أنزل الله، ويستبيحون الدماء ويتعاملون بالربا وينشرون الفساد وينهبون الأموال ويفتحون المراقص ويعطلون الجهاد في سبيل الله؟! ماذا أنتم قائلون أيها العلماء يوم يقوم الناس لرب العالمين؟؟! ماذا أنتم قائلون يوم يقول سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾؟!.

يا علماء الأمة، يكفي أن الأصل في العلماء العدالة، ولذلك يقول النبي ﷺ كما في (المسند) ونبَّه عليه ابن القيم رحمه الله في (مفتاح دار السعادة): «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله» قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفيه دلالة على أن العلماء عدول وهو الأصل فيهم» كما في (التمهيد). ويكفي في ذلك أن الخير لا ينتشر في الأرض إلا بالعلماء، وأن الشر لا ينتشر في الأرض إلا بفقدهم، ولا ينقص الخير إلا بفقد العلماء.

إن مهمة العلماء هي أن يتصدَّوا للتيارات الجارفة بالأمة نحو الهلاك، فهم القادة المصلحون الذين يقودون العباد والبلاد إلى برِّ الأمان، هم الطليعة الذين يتقدَّمون

الشعوب نحو كل خير، هم محل ثقة الناس عامة، وقد خصهم الله بالذكر فقال سبحانه في بيان فضلهم في هذه الأرض قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]. وقال الله جل وعلا ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١]، والمراد بِنُقْصَانِهَا كما جاء عن غير واحد من الـمُفسِّرين: «هو ذهاب العلماء والفقهاء»، فقد روى وكيع عن طلحة بن عمير عن عطاء بن أبي رباح قال في قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾: «ذهاب فقهائها وخيارها» (جامع البيان للطبري). قال ابن عبد البر: «قول عطاء في تأويل هذه الآية حسنٌ جدًا، تلقاه أهل العلم بالقبول» (جامع بيان العلم وفضله). وروي هذا عن غير واحد من المفسِّرين، فقد روي ذلك عن مجاهد بن جبر كما رواه سفيان عن منصور عن مجاهد بن جبر، قال في قول الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. **قال: «موت الفقهاء والعلماء» (النووي: [٤٤١/١٦]).**

ومن خلال هذه الأقوال التي أشرنا إليها نجد أن الشر حينما ينتشر في الناس فإنه لا ينشر إلا بسببين لا ثالث لهما: أحدهما: بفقد العلماء واندثارهم في هذه الأرض. والسبب الثاني: تقصير العلماء بالقيام بواجبهم وذلك حال وجودهم؛ ولذلك يقول النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالِمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئِلوا فأفتَوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا» (رواه البخاري، ومسلم).

أيها العلماء، إن رسول الله ﷺ كان يعيش كآحاد الناس، يجوع مثلهم ويحمل الحجارة معهم، ينام على الحصير ويجلس على الأرض، وكان في مهنة أهله يخيط ثوبه ويصلح نعله بيده... إلى غير ذلك من البعد عن مظاهر الترف والرفاهية التي يبحث عنها ويحرص عليها بعض حَمَلَة العلم في عصرنا الحالي، حتى إن امرأة يومًا كلَّمَتْه -عليه الصلاة والسلام- بأسلوب غير لائق، فلما عاتبها الصحابة وقالوا لها كيف تكلمين رسول الله هكذا؟! قالت: إنني لم أعرفه، واعتذَرَتْ بأنه لم يكن معه حارس ولا بوَّاب. فما بال المنتسبين إلى العلم والدعوة يبحثون عن الجاه والمكانة عند الناس، بل يتنافسون على إرضاء الحكام والسلاطين، بدلًا من تنافسهم على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة، التي هي ميراث الأنبياء بحق، مهما أصابهم في سبيل ذلك من ضيق وكدر في العيش؟!...إن الاسلام اليوم يريد من المسلمين، وخصوصًا العلماء، وهم على مفترق الطريق،

بذل الغالي والنفيس وبذل أقصى الجهد في بيان أحكام الإسلام وحمل دعوته وإقامة دولته.

أيها العلماء، ألم يأتِكم نبأ الحكام ومنكراتهم التي ترتكب مع كل دقة ساعة في العالم الإسلامي؟! ألم تسمعوا وتشاهدوا ما حلَّ بالشام وأهلها من قتل ودمار، ثم ألم يأتِكم نبأ ما حلّ باليمن السعيد من سفك الدم الحرام وزرع الفتن الدهماء، من قِبل لُقطاء السياسة في شمال اليمن وجنوبه، بل إن بعض من يسمَّون علماء مازالوا يشرعنون لأتباعهم بوجوب الاقتتال وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴿٩٣﴾﴾. وعن جرير قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع «**استنصت الناس**» ثم قال «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» فيا ويل قوم يصمتون عن قول الحق وبيان حكم الله في أعمال الحكام الظالمين وزبانيتهم.

أيها العلماء، ألم يأتِكم نبأ سفاهة حكام بلاد المسلمين من أشباه الرجال في الخليج والحجاز والكنانة وهم يتآمرون مع يهود على أرض الإسراء والمعراج؟ وقتل المسلمين في سوريا واليمن وسائر بلاد المسلمين؟! أين أنتم يا علماء الأمة من هذه المنكرات التي تحدث أمامكم جهارًا نهارًا؟!... فيا ويل قوم يصمتون على بقاء الأنذال في الحكم ساعة من نهار!

وختامًا فإني أوجه في نهاية هذا المقال إلى كل من أنعم الله عليه بنعمة العلم الشرعي، وعرف صلته بالله خالقه، فصفت عقيدته، ونقت سريرته، وأيقن بلقاء ربه، ثم رأى مآسي الأمة الإسلامية وهي تذبح، وتنتهك، وتنهب، أن يبادر من فوره لتدارك ما يمكن تداركه قبل أن تهلك هذه الأمة وهو ينظر، وعندها يندم، ولات ساعة مندم.

أيها العلماء، إن الحل الوحيد لكل هذه المآسي والمنكرات هو إقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، فالحقوا بركب العاملين لها من شباب **حزب التحرير**. فالعمل لإقامة الخلافة هو فرض الفروض؛ لأنه بها يقام الدين وتطبَّق الأحكام وتُحمى المقدسات والحرمات، بل هي الدرع الواقي للأمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إنما الإمام جُنَّة يقاتل من ورائه ويُتَّقى به**».

فاللهم بسطوة جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبغيرتك لانتهاك حرماتك، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك، أسألك يا الله، يا سميع، يا قريب، يا مجيب، يا منتقم، يا شديد البطش، يا جبَّار، يا قهَّار يا من لا يعجزه قهر الجبابرة ولا يَعْظُمُ عليه هلاك الظالمين من الملوك الأكاسرة... أن تُعجل لنا بيوم النصر والتمكين، اللهم أيِّدنا بأهل نصرة ومنعة من رجال هذه الأمة الأتقياء الأنقياء، يا رب العالمين... وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.■

توتّر كبير بعد حرق المستوطنين لنسخ القرآن

في ٢٠٢٢/١٠/٠٩م، أقدم مستوطنون على حرق ٧ نسخ من القرآن الكريم وإلقائها في القمامة بمحاذاة مسجد قيطون، في البلدة القديمة من مدينة خليل الرحمن، حيث يقع الحرم الإبراهيمي؛ وذلك بعد سلسلة من الاعتداءات التي نفذها المستوطنون بحق المسجد الإبراهيمي والمنازل المحيطة به. وأعرب المسلمون في فلسطين عن غضبهم الشديد إزاء تطاول المستوطنين على القرآن الكريم. وفي السياق، أطلق مدونون على تويتر دعوة عامة لأداء صلاتي المغرب والعشاء في مسجد قيطون نفسه بمدينة الخليل، ردًّا على اعتداء المستوطنين على كتاب الله. ويأتي ذلك بعد أن أقام مئات المستوطنين حفلًا في المسجد الإبراهيمي بحماية مشددة من قبل قوات الاحتلال في الثالث من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري.

الوعي: هؤلاء يهود، كانوا وما زالوا وسيبقون إلى يوم القيامة أشد الناس عداوة للمسلمين، وهؤلاء سيبعث الله عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وسيلحق بهم من يواليهم من حكام المسلمين، وإننا نسأل الله أن يجعله بأيدينا ويشفي منهم صدورنا، ويذهب غيظ قلوبنا، وكل آتٍ قريب.

أردوغان: مفاوضات استخباراتنا مع دمشق ستحدد خارطة الطريق

في ٢٠٢٢/٠٩/٢٩م، كشف الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، خلال لقاء تلفزيوني عبر قناة «سي إن إن ترك» و«كانال دي»، عن وجود تطبيع للعلاقات مع النظام السوري؛ حيث قال: «استخباراتنا تجري مفاوضات هناك (في دمشق)، ونحن نحدد خارطة طريقنا بناءً على نتائج جهاز الاستخبارات». من جانبه، قال المتحدث باسم الرئاسة التركية، إبراهيم كالن، إن الاتصالات مع النظام السوري تجري على مستوى أجهزة المخابرات، مؤكدًا عدم وجود أي خطط للاتصال السياسي مع دمشق حاليًّا. وأضاف كالن في حديث إلى إذاعة «إن تي في» التركية، في ٢٠٢٢/٠٩/٢٣م، أن موقف تركيا من سوريا واضح: «تستمر عملية أستانا، ويستمر عمل الدستور». وفي ٢٠٢٢/١٠/٠٦م ٠قال الرئيس التركي إن اللقاء مع رئيس النظام السوري بشار الأسد ليس أمرًا مستحيلًا. وأضاف أردوغان، في تصريحات عقب لقاءات ضمن «المجتمع السياسي الأوروبي»، بالعاصمة التشيكية براغ، إنه «عندما يحين الوقت المناسب،

يمكننا اللجوء إلى خيار اللقاء مع رئيس سوريا، وهناك محادثات تجري بالفعل حاليًّا، على مستوى منخفض». وكان الرئيس التركي، أبدى رغبته بلقاء رئيس النظام السوري بشار الأسد إذا حضر إلى قمة شنغهاي للتعاون في أوزباكستان. وكان وزير الخارجية التركي مولود تشاووش أوغلو، قد نفى أنباءً كانت متداولة بشأن عقد لقاء بين أردوغان والأسد في قمة شنغهاي، مشيرًا إلى أن رئيس النظام السوري ليس مدعوًّا.

الوعي: هذا هو أردوغان، مثله مثل سائر حكام الخيانة، ويزيد عليهم أن ظاهره إسلامي، أما باطنه فمن قبله العذاب، فهو نصير أعداء الله من يهود والأمريكان، وخاذل المسلمين في سوريا ومسلمُّهم إلى عدوهم... انظروا إلى تصريحه هذا، فهل هناك أصدق من هذا التصريح في بيان أن محرمات الإسلام ليست محرمات عنده.

ليز تراس: أنا صهيونية كبيرة...

وصفت رئيسة وزراء بريطانيا، ليز تراس، نفسها بأنها «صهيونية كبيرة» وداعمة كبيرة لـ (إسرائيل) وقالت إن المملكة المتحدة ستدافع عن (إسرائيل). وتعهدت تراس في حفل لجمعية «مجلس النواب اليهود البريطانيين» بأنها «ستنقل العلاقة بين المملكة المتحدة وإسرائيل من قوة إلى قوة». وتعهدت بالدعم «المطلق والصادق» لـ(إسرائيل)، وزعمت أن (إسرائيل) وبريطانيا تواجهان تهديدات من أنظمة استبدادية لا تؤمن بالحرية أو الديمقراطية. وبرزت دعوات في الحفل لنقل السفارة البريطانية من تل أبيب إلى القدس؛ حيث حثَّت، ماري فان ديرزيل، رئيسة «مجلس النواب اليهود» الحكومة البريطانية على اتخاذ هذه الخطوة، وقالت: «نأمل حقًّا أن تنقل بريطانيا السفارة مثل الولايات المتحدة». وشاركت تسيبي حاطوفلي، السفيرة (الإسرائيلية) في المملكة المتحدة، في الحفل، وقالت إنه لا يمكن لشيء أن يكون أكثر أهمية لإظهار الصداقة بين بريطانيا و(إسرائيل) مثل هذه الخطوة. وكرَّر وزير الصحة روبرت جينريك تعليقاته السابقة التي تشير إلى وجود مساحة من الأرض محجوزة حاليًّا لسفارة بريطانية جديدة في القدس، وقال إنه مسرور لسماع التزام رئيسة الوزراء بمراجعة نقل السفارة. وأعلنت وزيرة الدولة للرقمية والثقافة والإعلام والرياضة، ميشيل دونيلان، أن إحدى أولى زياراتها الدولية ستكون إلى (إسرائيل) وقالت: «هناك الكثير من الدروس التي يمكننا تعلمها من إسرائيل». وبحسب «جويش كرونيكل» حضر الحفل كذلك وزير الخارجية جيمس كليفرلي وعدد من كبار سياسيي حزب المحافظين الآخرين وأيدوا اقتراح تراس بإمكانية نقل السفارة.

الوعي: هذه هي بريطانيا أم الشرور ورأس العداء للإسلام والمسلمين، تجدد إعلان عدائها لهم، ولولا أنها ترى في حكام المسلمين عمالة لها، وخيانة وعداوة للمسلمين وقضاياهم، وعدم

معاداة لـ(إسرائيل)... ولولا أنها لا ترى في المسلمين قوة ولا حضورًا... لما تجرأت على الإعلان الفج هذا.

حكام المسلمين يخذلون الإيغور

خذل جميع حكام المسلمين الأعضاء بمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة (الإمارات وقطر وإندونيسيا وباكستان والسودان والسنغال وكازاخستان وموريتانيا، وامتنعت ليبيا عن التصويت) ما عدا الصومال، أقلية الإيغور المسلمة، بعد رفضهم إجراء نقاش بانتهاكات حقوق الإنسان في الصين. وانحازوا إلى جانب الصين برفض مشروع قرار يناقش جرائمها بحق مواطنيها المسلمين من الإيغور. وهذا الرفض جاء بـ ١٩ صوتًا في مقابل تأييد ١٧ لإجراء النقاش، وامتناع ١١ صوتًا. وكانت الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة بين الدول التي طالبت بالتحرك. وقال دولكون عيسى، رئيس المجلس العالمي للأيغور، الذي توفيت والدته في أحد المعسكرات وأخواه في عداد المفقودين: «هذه كارثة. هذا مخيب للآمال حقًّا». وأضاف: «لن نستسلم؛ لكن خاب أملنا حقًّا من رد فعل الدول المسلمة". وقالت وزارة الخارجية الصينية: «القضايا المرتبطة بشينغيانغ ليست قضايا إنسانية بالمرة؛ لكنها قضايا مكافحة إرهاب وتطرف وميول انفصالية». وكتبت الوزارة في منشور على موقعها الرسمي، إن هذا التحرك كان محاولة من الولايات المتحدة وبعض البلدان الغربية «لاستخدام مجلس حقوق الإنسان للتدخل في الشؤون الداخلية للصين». وأصدر مكتب حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة يوم ٣١ آب/ أغسطس تقريرًا خلُص إلى أن انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ارتُكبت في شينغيانغ. وتتهم المنظمات الحقوقية بكين بارتكاب انتهاكات في حق الإيغور، بما يتضمن استخدامهم في العمالة القسرية بمعسكرات احتجاز. وهم أقلية عرقية يدين معظم أفرادها بالإسلام، ويقدر عددها بنحو عشرة ملايين نسمة، واتهمت الولايات المتحدة الصين بارتكاب إبادة جماعية. وهناك العديد من الدول النامية في المجلس المؤلف من ٤٧ دولة غير عازمة على تحدي الصين علنًا، خشية تعريض الاستثمارات الصينية فيها للخطر. ونظمت مجموعة من الإيغور احتجاجًا أمام مقر الأمم المتحدة، ونشرت صورًا لأشخاص يقولون إن الصين تحتجزهم.

الوعي: إن قضية الإيغور هي قضية إسلامية بامتياز، وتحاول أمريكا استخدامها لمصلحتها في صراعها مع الصين، ويجب على الصينيين الأيغور المظلومين أن يخرجوا قضيتهم من التجاذب الدولي ويجعلوها واحدة من قضايا المسلمين المصيرية، كقضية فلسطين وكشمير والروهينغا... والتي تنتظر إنهاء مآسيها عن طريق دولة الخلافة الراشدة الثانية الموعودة المرتقبة، بإذن الله تعالى.

مظاهرات بـ٢٠ مدينة مغربية نصرةً لفلسطين ورفضًا للتطبيع

خرجت نحو ٣٠ مظاهرة وتجمعًا في ٢٠ مدينة مغربية، ردَّد خلالها المشاركون هتافات مناصرة للمسلمين في فلسطين وللقضية الفلسطينية، ورفعوا لافتات تدين العدوان والانتهاكات (الإسرائيلية) المتكرِّرة للمسجد الأقصى المبارك، وتزامنت المظاهرات مع أحداث ملتهبة شهدتها الضفة الغربية منذ أسابيع، استشهد خلالها عدد من المسلمين في مخيم جنين، ونابلس، ومناطق أخرى خلال اشتباكاتهم شبه اليومية مع قوات الاحتلال. وأدان المحتجون، خلال وقفات ما أطلق عليه «جمعة الغضب»، الصمت الرسمي العربي، وسياسة الكيل بمكيالين التي ينتهجها الغرب والمؤسسات الأممية التابعة، وأكَّد المحتجون رفضهم لاتفاقية التطبيع بين المغرب ودول عربية أخرى من طرف، والاحتلال (الإسرائيلي) من طرف آخر، وتنديدهم بالاقتحامات غير المسبوقة للمسجد الأقصى المبارك من طرف عدد كبير من المستوطنين بدعوى الاحتفال بعيد «العرش» العبري وقيامهم بطقوسهم التلمودية في باحاته. وجددت الوقفات الرفض الشعبي المطلق للتطبيع مع الكيان الصهيوني والمطالبة بإسقاطه. ويتوقع أن تشهد المظاهرات الليلية توسعًا في المدن. ويشار إلى أن اتفاقية التطبيع التي وقعتها مملكة المغرب مع الاحتلال (الإسرائيلي) في نهاية العام ٢٠٢٠م، قوبلت برفض شعبي واسع

الوعي: وهذا مثل آخر من أمثلة غربة الحكام عن شعوبهم، وهذا الخبر يعتبر بمثابة رفض الشعب المغربي للتطبيع، بل أكثر من ذلك، يعتبر بمثابة رفض الأمة كلها للتطبيع باعتبار أن الأمة أمة واحدة.

الاحتلال يسعى إلى فرض منهاج تعليمي (إسرائيلي) على مدارس القدس

يشدِّد الاحتلال (الإسرائيلي) القيود على المؤسسات التعليمية التي تدرّس المنهاج الفلسطيني في مدينة القدس المحتلة، ويفرض عليها تدريس المنهاج (الإسرائيلي) وهذا يعني مسعى سلطات الاحتلال إلى إحكام قبضتها على التعليم وفرض روايتها حتى على الصغار. ويصف المسلمون في فلسطين هذه المحاولة المستمرة منذ سنوات لفرض المنهاج (الإسرائيلي) على مدارس القدس بـ «الحرب الإسرائيلية على المنهاج» أو«أسرلة» العملية التعليمية. ويتلقى ١٢٠ ألف طالب تعليمهم في القدس؛ أكثر من نصفهم يتعلمون في المدارس الرسمية التي تتبع سلطات الاحتلال، والتي تضيّق على المدارس التي لا تقع تحت سلطته؛ حيث إن قدرتها الاستيعابية معروفة، وتُمنع زيادة

صفوف دراسية فيها، ويمنع القيام ببناء واستئجار مدارس جديدة... سعيًا لإخضاعها لقراراتها. هذا وقد قابل المسلمون في القدس هذه الإجراءات بتحركات مضادة لفرض المنهاج (الاسرائيلي) ورفض تحريف المنهاج الفلسطيني التعليمي، تجلت بإضرابات مصحوبة باعتصامات ومسيرات وتظاهرات شعبيّة احتجاجية.

الوعي: شعب فلسطين هو من أكثر الشعوب الإسلامية التي لا تموت، وإذا كان قد قدر لهم أن يصيبهم ما أصابهم من يهود، فإنا نسأل الله أن يجعل حتف يهود على أيديهم... إنه وعد صادق غير مكذوب.

مستشار وزارة الخارجية الأمريكية: على الفلسطينيين الالتحاق بعربة أبراهام

في جلسة مسجّلة مع مجموعة من الصحافيين، أظهر كون شوليت مستشار وزارة الخارجية الأمريكي عددًا من المواقف، حول الموضوع الأوكراني - الروسي وحول فلسطين وإيران وقطر وأوبك... وباراك أوباما... فحول قضية التطبيع وإيلائها اهتمامًا أكبر من حل القضية الفلسطينية، ذكر أن التطبيع هو أهم، قائلًا إنه أكثر الأشياء إيجابية التي حصلت في السنوات الأخيرة. وأكَّد أنه كان شاهدًا على الجذور الأولى لهذا التطبيع قبل عشر سنوات حين كان يعمل في وزارة الدفاع الأمريكية، حسب شوليت، فإن (الإسرائيليين) والإماراتيين كانوا حينها «يتحدثون مع بعضهم سرًّا». ويرى شوليت أيضًا أن إدارة ترامب تستحق الشكر على هذا، وأن إدارة بايدن تقوم حاليًّا بالعمل على ما قامت إدارة ترامب بتأسيسه. ويقول إن ما أنجزته إدارة بايدن في هذا الصدد كان الاجتماع «التاريخي» الذي جمع وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن بنظرائه من (إسرائيل) ومصر والإمارات والبحرين والمغرب ومصر في صحراء النقب في شهر آذار/مارس الماضي. وقال: «إذا اعتبرنا اتفاقات إبراهيم هي البداية، فإن ما نعمل عليه الآن هو تحويل العملية إلى شراكة كبيرة؛ بحيث يتكرر الاجتماع سنويًّا». فـ«الشركة الكبرى» التي تشكلها (إسرائيل) مع الدول العربية تتوسع، وما على الفلسطينيين سوى القفز إلى عربتها!.

الوعي: إن ما يطرح من حل لقضية فلسطين من وضع عربة التطبيع أمام حصان الحل إنما هو حل يستهين بالمسلمين ويجعل الحكام يأخذون قراراتهم بالتطبيع بعيدًا عن شعوبهم، عن دينهم... وإننا نقولها صريحة مدوية: إن قضية فلسطين، بعد كل هذا التآمر الدولي اللئيم عليها، تنتظر قيام دولة الخلافة، والتي ستكون الشام عقر دار لها.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف نموذج قرآني لكيفية النجاة من التضليل السياسي

الأستاذة بيان جمال

لا تخفى على أحد حالة الضَياع والتشتُّت التي تعيشها أمتنا اليوم. ومظاهر هذا الضنك إما هي نتيجة لغياب الإسلام عن الحكم والحياة، أو هي من أسباب الهزيمة وتغلغل النفوذ الغربي في بلاد المسلمين. فالتأخر الاقتصادي والفقر وانتشار البطالة والفساد والقتل وتفكك الأسر وضياع الأطفال هي مظاهر حتمية سببها عدم تطبيق الإسلام وأنظمته في الحياة. أما الشتات الفكري وانتشار البدع في السياسة والفكر، وتفرق السبل بالحركات السياسية في بلاد المسلمين، واللهو الغارق فيه شباب المسلمين وعدم وعيهم على واقعهم ولا معرفتهم بتاريخهم هو سبب قوي يطيل بقاء الظالمين وتسلُّطهم على رقابنا.

إن طريق النهضة يبدأ، كما قال الشيخ العلامة تقي الدين النبهاني رحمه الله، بالوعي على الفكر الذي يحقق نهضة، أي الوعي على فكرة الإسلام وطريقته في معالجة شؤون الحياة الدنيا «الكون والإنسان والحياة» وربطها بما قبلها وما بعدها. فالذي يريد الخروج من مستنقع الضنك الذي تتخبط فيه الأمة منذ مائة عام، عليه أن يعي على الإسلام: عقيدته وأنظمته. والمتلمس لطريق النهضة لا بدَّ من أن يربط عمله ربطًا محكمًا بكتاب الله وسنة رسوله حتى لا تنقطع به السبل على أبواب عدوِّه من حيث لا يدري، ولا يكون أداة في ظهر أمته بجهله بأحكام دينه وعقيدته. فعقيدتنا هي النور الذي نستضيء به في وجه ظلمات الجاهلية التي نعيشها ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾ [محمد: ١٤].

والقرآن الكريم دائمًا ما يتوجه بالخطاب للإنسان لأجل أن يُعمل عقله ويفكر ويتدبر. فهو قد توجه بالخطاب حتى لمن ليس لديهم استعداد لاتباع الوحي؛ ولكن يُلزمهم بالتفكير، ومن شروط التفكير في القرآن التجرد عن المؤثرات كيفما كانت والرغبة في تحصيل الحقيقة، ثم البرهنة عليها، فالله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]. إن هذه الآية وغيرها تلزم الإنسان بمسؤولية تفكيره، وعن نتائج هذا التفكير، فالقرآن يربي أهله على التفكير لا على الاتباع الأعمى، ويربط الاتباع بسلامة المنهج لا بالأشخاص. لا يعترض القرآن على التفكير العقلي بل على التفكير الذي

لا يتحمل مسؤولية الدفاع عن النتائج والبرهنة عليها. وإن تتمة الآية تنذرنا أن التفكير ليس مجرد ترف فكري أو عمل غوغائي بلا نتيجة، بل إن الإنسان في مضمار الفكر متابع حتى اليوم الآخر فالفكر في الإسلام عمل ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [مقتبس بتصرف عن مقال لإدريس الكنبوري].

ولأن القرآن كتاب عمل، ولأن الله سبحانه يطالب قارئ القرآن خاصة بتدبره، فلا يمرُّ عليه مرور السهم، كان المسلمون العاملون في مجال الدعوة والساحة الإسلامية خاصة أكثرَ المطالَبين بتدبر هذا الكتاب والالتزام بنهجه في العمل الدعوي والسياسي. فمما ابتلينا به في هذا الزمان، انتشار الجهل وغياب الوعي، وهذا ممنهج له وأمر مقصود من الغرب، فهدم الأجيال يقتضي، لا بدَّ، تغييب القدوات ونشر الجهل. ومع تيسّر وصول الكل لمواقع التواصل وقدرة السفيه قبل العالم على إبداء رأيه والتصدُّر للفتوى والتحليل السياسي، صار العامة يقعون في اللغط والحيرة، ويصاب الغالبية بالشتات. هذه البلبلة جعلت الناس قسمين: قسمًا عزف عن متابعة أخبار الأمة والاهتمام بشؤونها وفضّل النجاة بنفسه، وليته ينجو، بل هو مع القطيع يُساق وهو لا يدري ما يراد له! وقسمًا يتابع المجريات ولا يعي ما وراءها، وليس لديه علم شرعي ولا فقه سياسي يؤصل به الأحكام وينزلها على الواقع، فكثر اللغط وزادت التضليلات وصارت الأمة تعيش بلاء فوق بلاء.

وإنَّ لسائل أن يسأل: ما سبيل السلامة من هذه المتاهة؟

والجواب أنَّ الأصل في كل مسلم أن يرجع، حين يضيع في العتمة، إلى النور، ومن أشكلت عليه الرؤية استضاء بمصباح الوحي ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦]. فحتى يسلم المسلم من التضليل السياسي عليه أن يلتزم بتوجيهات عقيدته في كل لحظة ويربط الأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة بالواقع، محقِّقًا بذلك معنى التسليم والانقياد التام، دون التفات لهوى ولا مصلحة ولا اتِّباع لفصيل أو قائد، فالشرع فوق كل الأحزاب والقادة. وهذا الالتزام بالعقيدة إذا تمَّ ربطه بشكل صحيح بالواقع كانت فيه النجاة، فالله سبحانه وعدنا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾.

إن العمل السياسي عمل شرعي بامتياز، فله أحكام شرعية منبثقة عن أدلة، فهو فقه لا مجرد ترف فكري أو عمل إداري نتخبطه خبط عشواء، ونسير فيه على خطا الشرق أو الغرب. وواهمٌ من يظن أن الله سبحانه الذي فصَّل لنا أمور ديننا وعلمنا كيف نتزوَّج، وكيف نتطهَّر، وكيف نلبس وكيف نأكل، وكيف نفرح وكيف نحزن... ثم لم يعلمنا كيف نقيم دولة وكيف نمتهن السياسة ونرعى شؤوننا! بل الإسلام الذي علمنا كيف نعامل أهلنا وأطفالنا وجيراننا وأهل الذمة قد رسم لنا منهاجًا مفصلًا في معاملة عدونا وكيفية مناكفته وبأي طريق نسير بما يتعلق به.

فالمسلم الذي يسير بنور القرآن يعي جيدًا أن ملة الكفر واحدة، وأن الكفار لا يحبون لنا الخير بل ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ وأنهم يتربصون بنا الدوائر، بالتالي فالأصل أننا عند النظر لأي قضية من قضايا المسلمين علينا أن ندرك جيدًا أن تدخلهم فيها يفسدها، فلا نتوقع منهم خيرًا أبدًا.

أما عن حكام المسلمين فهم لا يحكمون بشرع الله بل بشرع الغرب، فشعور المسلم تجاههم هو الكره والبغضاء، وتعامله معهم يكون على أساس أنهم أدوات بيد الغرب يحركهم كيف يشاء. وأي تنظيم أو عالم يتملّقهم ويتعامل معهم ويداهنهم هو في صفهم. وكذلك فكل حركة سياسية تقبل بالتعامل مع الغرب والعمل تحت منظومته السياسية هي أداة بيده كهؤلاء الحكام.

وأما عن المسلمين في بقاع الأرض، فالله جعلنا أمة من دون الناس، فألغى كل عصبية وانتماء لغير الإسلام فقال ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»، فـ«**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ**». فلا قيمة للحدود التي رسمها الاستعمار، ولا قيمة للعصبيات القبلية. فكل مسلم في الأرض هو أخي، وقضيته قضيتي وهمّه همّي، بالتالي تسقط كل الأبواق الناعقة بأن فلسطين مثلًا قضية الفلسطينيين وحدهم، أو أن لبنان لأهله دون السوريين، أو أن تركيا ليست ملزمة باستقبال اللاجئين من سوريا... إلى غيره من النعيق الذي يطلقه إعلام السلطة وأذنابه في بلاد المسلمين.

فهذه الثوابت المنبثقة عن الوحي تشكل قاعدة فكرية سياسية يستضيء المسلم بنورها فلا ينخدع بخطابات الحكام الرنانة، ولا تبريرات الحركات السياسية التي تخطب ود الغرب ليل نهار بينما تتستر بلباس الإسلام، ولا يضلله عمل خيري لحاكم هنا أو تبرع سخي لدولة من هناك لأهل بلد مسلم تغطي به على تخاذلها عن نصرتهم، ولا ييأس من طول عمر الباطل وقلة السالكين في مركب الحق، ولا يفقد الأمل بربه أبدًا، فلا ينسيه الواقع وعلوّ الظالمين أن الله جاعلٌ لما يرى فرَجًا ومخرجًا.

والمتدبر في سورة الصف وحدها يدرك تمامًا هذه الحقائق، فالله سبحانه ابتدأ السورة الكريمة بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾. جاء في تفسير الطبري: «بل نزلت هذه الآية في توبيخ قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، كان أحدهم يفتخر بالفعل من أفعال الخير التي لم يفعلها، فيقول فعلت كذا وكذا، فعذلهم الله على افتخارهم بما لم يفعلوا كذبًا». فما موقف الحركات التي تدّعي العمل للإسلام ولا تفعل؟! وما موقف الذين يقولون نحن نقف مع أهل فلسطين فإذا بهم ينسقون مع كيان الاحتلال؟! أم أن هؤلاء لا يصنفون أنفسهم من المؤمنين؟! وإنما الأصل أن يتدبر المسلم أعمالهم ويقيسها على أقوالهم ثم لينظر هل هم ممن ذكرهم الله في قوله سبحانه أم لا. وفي تفسير ابن كثير: «بَعَثَ أَبُو مُوسَى إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ قُرَّاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَخِيَارُهُمْ. وَقَالَ:

كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيْنَاهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: ﴿أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ، فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والله سبحانه أتبع هذه الآيات بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾. فَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى بِمَحَبَّةِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اصْطَفُّوا مُوَاجِهِينَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرُ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ. ولكن صفوف المجاهدين في سبيل الله تبعثرت وتفرقت بها السبل؛ ذلك أن الأمة كلها تمزقت واختلطت صفوفها، فلا حاكم يجمعها ويقيم حكم الجهاد حتى يقوّم صفوف المجاهدين ويرصّ بنيان الأمة فيجعله واحدًا أمام عدوها، يعلي به كلمة الله ويجعل دينه هو المهيمن. قَالَ قَتَادَةُ: «أَلَمْ تَرَ إِلَى صَاحِبِ الْبُنْيَانِ، كَيْفَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَخْتَلِفَ بُنْيَانُهُ؟ فَكَذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ لَا يَخْتَلِفَ أَمْرُهُ، وَإِنَّ اللَّهَ صَفَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ وَصَفَّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ عِصْمَةٌ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ».

ثم تحدث جلّ جلاله عن اليهود والنصارى وتكذيبهم لرسلهم عليهم السلام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ جاء في تفسير القرطبي: «أَيْ لَمَّا تَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ احْتِرَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَامُ وَطَاعَةِ الرَّبِّ، خَلَقَ اللَّهُ الضَّلَالَةَ فِي قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم». فهذه الآية نذير لمن بعدهم، فالزيغ عن الوحي سبب في طمس القلوب وملئها بالضلالة - عافانا الله.

وهذه الآيات عن تكذيب اليهود والنصارى لرسلهم وتكذيبهم لسيدنا محمد ﷺ، تسلية لحملة الدعوة من بعده، وفيها تأكيد أن الكافرين لا يحبون لنا خيرًا ولا يودون إلا أن نكفر كما كفروا، وهذا واضح في هجماتهم المسعورة على الخمار والأذان وأحكام الإسلام عامة كالقوامة وقيم الأسرة والتربية، فضلًا عن هجومهم على كيان الإسلام السياسي وتخوفهم من الخلافة ومنع ذكرها ومحاربة العاملين لها حربًا شعواء بلا هوادة. فهم كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾. «يُحَاوِلُون أَنْ يَرُدّوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ بِفِيهِ، وَكَمَا أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ كَذَلِكَ ذَاكَ مُسْتَحِيلٌ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾»

[تفسير ابن كثير].

أما ختام السورة فهي والله نعمة من الله كما بدايتها: هداية ونور مبين، ورحمة واسعة تنضح بلطف الله وتحببه لعباده المؤمنين، فهو كما زرع الضلالة في قلوب اليهود حين زاغوا عما جاءهم به موسى عليه السلام، يزرع الهداية في قلوب المؤمنين ويرشدهم لما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة. وفي تفسير ابن كثير ربط لبداية السورة بنهايتها: «تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ [ورد في تفسير أول الآيات] أَنَّ الصَّحَابَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَرَادُوا أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْعَلُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السورة، ومن جملتها هذا الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ ثُمَّ فَسَّرَ هَذِهِ التِّجَارَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لَا تَبُورُ، وَالَّتِي هِيَ مُحَصِّلَةٌ لِلْمَقْصُودِ وَمُزِيلَةٌ لِلْمَحْذُورِ فَقَالَ: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ أَيْ: مِنْ تِجَارَةِ الدُّنْيَا، وَالْكَدِّ لَهَا وَالتَّصَدِّي لَهَا وَحْدَهَا».

ثُمَّ قَالَ: «﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ أَيْ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَدَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ، غَفَرْتُ لَكُمُ الزَّلَّاتِ، وَأَدْخَلْتُكُمُ الْجَنَّاتِ، وَالْمَسَاكِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾».

ثُمَّ قَالَ: «﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ أَيْ: وَأَزِيدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةً تُحِبُّونَهَا، وَهِيَ: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ أَيْ: إِذَا قَاتَلْتُمْ فِي سَبِيلِهِ وَنَصَرْتُمْ دِينَهُ، تَكَفَّلَ اللَّهُ بِنَصْرِكُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [مُحَمَّدٍ: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الْحَجِّ: ٤٠] وَقَوْلُهُ ﴿وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ أَيْ: عَاجِلٌ فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ خَيْرُ الدُّنْيَا مَوْصُولٌ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ، لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَنَصَرَ اللَّهَ وَدِينَهُ؛ ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾».

فهذه إذًا دعوة لكل مسلم: إن سبيل النصر والعزة والرفعة في الدنيا والآخرة هو سبيل العاملين لإعزاز هذا الدين، وإن النصر لا يكون بالتولّي عن الأمة، بل العمل الدؤوب ومتابعة همومها ليل نهار ونصحها ودعواتها لدين الله بتطبيقه، فكما أن القرآن قد يلعن صاحبه يوم القيامة، فكذلك حق على الأمة أن تتعلمه وتسعى لتطبيقه وتحكيمه لتكون السيادة للإسلام لا لأنظمة الطاغوت، وإلا كان حفظ القرآن وترتيله حجة علينا أمام الله سبحانه. فكيف نقرأ آيات البراء من الكافرين ثم نرضى أن يحج حكامنا لواشنطن وموسكو يبتغون عندهم العزة؟! وكيف نقرأ أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فنرضى بعد ذلك أن يتسلّط علينا عدونا ويتدخل في شؤوننا وينظّر علينا في تربية أطفالنا ويفرض علينا سيداو وقانون الطفل وغير ذلك من نجسه؟! كيف نقرأ القرآن ونرتله ليل نهار ثم نرضى أن نعمل بخلافه؟! أنبتغي مقت الله سبحانه وتعالى؟!. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

فعل الخير وقضاء حوائج الناس

إن فعل الخير وقضاء حوائج الناس من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى وينال رضاه في الدنيا والآخرة، فقد أمر الله جل شأنه المسلمين بأن يفعلوا الخير، والذي منه قضاء حوائج الناس، وربط الفلاح فيه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] وجعل جلَّ وعلا ما يفعله المسلم من خير إنما يقدمه لنفسه من حسنات، كما هو يقدمه لغيره من فرجات، فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المزمل: ٢٠]. قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: ما تقدمونه أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله تَجدونه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيرًا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا؛ أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدَّمتموه. و قال الإمام ابن كثير رحمه الله: من سعى في أمر فترتَّب عليه خير، كان له نصيب من ذلك.

- **روى** جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**كل معروف صدقة**» متفق عليه.

- **روى** الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عبادًا اختصَّهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منَعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم**» حديث حسن.

- **روى** ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**» حديث حسن.

- **روى** ابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطُوبَى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**» حديث حسن.

- **روى** الطبراني عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن يَألف ويُؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخيرُ الناس أنفعهم للناس**» حديث حسن.

- **روى** مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**».

- **روى** الشيخان عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يَظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**».

- **روى** مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يَصرِف بصرَه يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن كان معه فضلُ ظهرٍ(دابة)، فليَعُد به على مَن لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليَعُد به على مَن لا زاد له**».

- **روى** الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه**».

- **روى** مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

- **روى** ابن أبي الدنيا والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** (يعني مسجد المدينة) **شهرًا، ومن كفَّ غضبه، ستر الله عورته. ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عز وجل قلبه أمنًا يوم القيامة. ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له، أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام. وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل**» حديث حسن.

- **روى** الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

- **روى** مسلم عن أبي اليسر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنظَر معسرًا أو وضع عنه، أظلَّه الله في ظله**».

- **روى** الترمذي عن عمرو بن مرة الجهني ﷺ أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّته وحاجته ومسكنته**»، فجعل معاوية رجلًا على حوائج الناس؛ حديث صحيح.

- **روى** مسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرِضتُ فلم تعدني (تَزُرْني) قال: يا ربِّ، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرِض فلم تعده؟ أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده؟. يا ابن آدم استطعمتُك فلم تطعمني، قال: يا ربِّ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي؟. يا ابن آدم استسقيتُك، فلم تسقِني، قال: يا ربِّ، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقِه، أما إنك لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي**».

- **روى** الشيخان عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة، قال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**». والشفاعة هنا تعني التوسط للغير بجلب منفعة مشروعة له، أو دفع مضرة عنه.

قال الطيبي رحمه الله: قال النبي ﷺ: «**إذا عرض المحتاج حاجته عليّ، فاشفعوا له إليّ؛ فإنكم إن شفعتم حصَل لكم الأجر؛ سواء قبِلت شفاعتكم أم لا، ويُجري الله على لسان نبيه ما شاء من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، فإن قضيتها أو لم أقضِها، فهو بتقدير الله تعالى وقضائه**» (فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني). وقال الإمام النووي رحمه الله: هذا الحديث فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة؛ سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلمٍ أم إسقاط تعزير، أم في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك، فهي حرام؛ (مسلم بشرح النووي).

- **روى** البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني» (أي الأسير). ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الصحابي أبي سفيان بن الحارث سيِّد فِتيان الجنة

قلَّ أن اتصَلَتِ الأسبابُ بين شخصين وتوثقت العرى بين اثنين كما اتصلت وتوثقت بين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وبين أبي سفيان بن الحارث، فقد كان أبو سُفيان لِدةً (من وُلد معه في زمن واحد وكذلك «التِّرب») من لِدات الرسول ﷺ وتربًا من أترابهِ، فقد ولدا في زمن متقارب ونشآ في أُسرةٍ واحدةٍ، وكان ابن عم النبي اللصيق، فأبوه الحارث وعبد الله والد الرسول ﷺ أخوان ينحدران من صلب عبد المطلب. ثم إنه كان أخًا للنبي من الرضاع، فقد غذَّتهما السيدة حليمة السعدية من ثديها معًا. وكان بعد ذلك كله صديقًا حميمًا للرسول ﷺ قبل النبوة وأشد الناس شبهًا به... فهل رأيت أو سمعت قرابة أقرب أو أواصر أمتن من هذا الذي كان بين محمد بن عبد الله وأبي سفيان بن الحارث؟! لذا فقد كان المظنون بأبي سفيان أن يكون أسبق الناس إلى تلبية دعوة الرسول ﷺ وأسرعهم مبادرة إلى اتِّباعه؛ لكن الأمر جاء على خلاف كل ما يتوقعه المتوقعون؛ إذ ما كاد الرسول عليه الصلاة والسلام يظهر دعوته وينذر عشيرته إلا شبَّت نار الضغينة في نفس أبي سفيان على الرسول ﷺ فاستحالت الصداقة إلى عداوة، والرحم إلى قطيعة، والأُخوَّة إلى صدٍّ وإعراض.

ولقد كان أبو سفيان بن الحارث يوم صدع الرسول بأمر ربه فارسًا من أنبه فرسان قريش ذِكرًا، وشاعرًا من أعلى شعرائهم كعبًا (شأنًا ومقامًا)، فوضع سنانه ولسانه في محاربة الرسول ومُعاداة دعوته، وجَنَّدَ طاقته كلها للنِّكاية (الإيذاء والقتل) بالإسلام والمسلمين. فما خاضت قريش حربًا ضد النبي إلا كان مسعِّرَها (موقدها) ولا أوقعت بالمسلمين أذى إلا كان له فيه نصيب كبير. ولقد أيقظ أبو سفيان شيطان شِعرِه وأطلق لسانه في هِجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فقال فيه كلامًا مُقذِعًا (بذيئًا) فاحشًا موجعًا. ولقد طالت عداةُ أبي سفيان للنبي عليه الصلاة والسلام حتى قاربت عشرين عامًا، لم يترك خلالها ضربًا من ضروب الكيد للرسول إلا فعله، ولا صنفًا من صنوف الأذى للمسلمين إلا اجترحه (ارتكبه) وباء بإثمه. وقبيل فتح مكة بقليل كُتِبَ لأبي سفيان أن يُسلِم، وكان لإسلامه قصة مثيرة وعتها كتبت السِّير وتناقلتها أسفار التاريخ، فلنترك للرجلِ نفسه الحديث عن قصة إسلامه فشعوره بها أعمق.

قال: لـمَّا أستقام أمُر الإسلام وقَرَّ قرارُه، وشاعت أخبارُ تَوَجُّهِ الرسول إلى مكة لِيفتحها، ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت وقلت: إلى أين أذهب؟! ومن أصحب؟! ومع من أكون؟! ثم جئت زوجتي وأولادي فقلت: تهيؤوا للخروج من مكة، فقد أوشك وصول محمد، وإنّي لمقتول لا محالة إن أدركني المسلمون. فقالوا لي: أما آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد دانت لمحمد بالطاعة، واعتنقت دينه، وأنت لا تزال مُصِرًّا على عَداوَتِه، وكنت أولى الناس بتأييده

ونصره؟! وما زالوا بي يعطفونني على دين محمد ويرغبونني فيه حتى شرح الله صدري للإسلام.

قمت من توِّي وقلت لغلامي «مذكور» هَيِّىء لنا نوقًا وفرسًا، وأخذت معي ابني جعفرًا، وجعلنا نغذُّ السير نحو الأبواء بين مكة والمدينة، فقد بلغني إن محمدًا نزل فيها. ولما اقتربت منها تنكَّرت حتى لا يعرفني أحد فأُقتل قبل أن أصل إلى النبي وأعلن إسلامي بين يديه .ومضيت أمشي على أقدامي نحوًا من ميل وطلائع المسلمين تمضي مُيَمِّمة شطر مكة جماعةً إثرَ جماعةٍ، فكُنتُ أتنحَّى عن طريقهم فرَقًا منهم وخوفًا من أن يعرفني أحد من أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه. وفيما أنا كذلك، إذ طلع الرسول في موكبه، فتصدَّيت له ووقفت تلقاءه (أمام وجهه الكريم) وحسرت وجهي، فما إن ملأَّ عينيهِ مني، وعرفني حتى أعرض عني إلى الناحية الأخرى، فتحولتُ إلى ناحية وجهه فأعرض عني وحوَّل وجهه فتحولت إلى ناحية وجهه، حتى فعل ذلك مرارًا.

كنت لا أشك وأنا مُقبل على النبي أنه سيفرح لإسلامي وأن أصحابه سيفرحون لفرحه؛ لكن المسلمين حين رأَوا إعراض الرسول ﷺ عني تجهَّموا لي، وأعرضوا عني جميعًا: لقد لقيني أبو بكر فأعرض عني أشد الإعراض، ونظرت إلى عمر بن الخطاب نظرة أستلِينُ بها قلبه فوجدته أشد إعراضًا من صاحبه، بل إنه أغرى (حرَّض عليّ) بي أحد الأنصار فقال لي الأنصاري: يا عدوَّ الله، أنت الذي كنت تؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد بلغتَ في عداوة النبي مشارق الأرض ومغاربها، وما زال الأنصاريُّ يستطيل عليّ ويرفع صوته والمسلمون يقتحمونني (ينظرون إليّ نظرًا فيه شِدة) بعيونهم، ويُسَرون مما أُلاقي .عند ذلك أبصرت عمي العباس فلذت (لجأت إليه) به، وقلت: يا عَمّ، قد كنت أرجو أن يفرح رسول الله ﷺ بإسلامي لقرابتي منه وشرفي في قومي، وقد كان منه ما تعلم، فكلِّمه ليرضى عني، فقال: لا، واللهِ لا أُكلمه كلمة أبدًا بعد الذي رأيته من إعراضه عنك إلا إن سنحت فرصة، فإني أُجِلُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابُه. فقلت: يا عَمّ، إلى من تكلني إذًا؟ فقال: ليس لك عندي غير ما سمعت، فتملكني الهمّ وركبني الحزن ولم ألبث أن رأيت ابن عمي علي بن أبي طالب فكلمته في أمري، فقال لي مثل مقالة عمنا العباس .عند ذلك رجعت إلى عمي العباس وقلت: يا عم إذا كنت لا تستطيع أن تعطف على قلب الرسول فكفَّ عني ذلك الرجل الذي يشتمني ويغري الناس بشتمي، فقال: صفه لي، فوصفته له فقال: ذلك نعيمان بن الحارث النجاري، فأرسل إليه وقال له: يا نعيمان إن أبا سفيان ابن عم الرسول ﷺ وابن أخي، وإن يكن رسول الله ﷺ ساخطًا عليه اليوم فسيرضى عنه يومًا فكفَّ عنه، وما زال به حتى رضي أن يكفَّ عني وقال: لا أعرض له بعد الساعة .

ولما نزل رسول الله ﷺ بالجحفة (مكان على الطريق بين المدينة ومكة) جلست على باب منزلي ومعي ابني جعفر قائمًا، فلما رآني وهو خارج من منزله أشاح عني بوجهه، فلم أيأس من استرضائه، وجعلت كلما نزل من منزل أجلس على بابه وأقيم ابني جعفرًا واقفًا بإزائي، فكان إذا أبصرني أعرض عني. وبقيتُ على ذلك زمانًا، فلما اشتدَّ عليَّ الأمر وضاق قلت لزوجتي: والله ليرضين عني رسول الله ﷺ أو لآخذن بابني هذا ثم لنذهبن هائمين على وجهينا في الأرض حتى نموت جوعًا وعطشًا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لي، ولما خرج من قُبته نظر إليَّ نظرًا ألينَ من النظر الأول، وكنت أرجو أن يبتسم. ثم دخل الرسول صلى الله عليه

وسلم مكة فدخلت في ركابه، وخرج إلى المسجد فخرجت أسعى بين يديه لا أُفارقه على حالٍ.

ولما كان يوم حنين جمعت العرب لحرب النبي ﷺ ما لم تجمع قط، وأعدَّت لِلقائه ما لم تعدَّ من قبل، وعزمت على أن تجعلها القاضية على الإسلام والمسلمين. وخرج الرسول ﷺ للقائِهم في جموع من أصحابه فخرجت معه، ولما رأيت جموع المشركين الكبيرة قلت: والله لأكفرنَّ اليوم عن كل ما سلف مني من عداواةٍ رسول ﷺ، وَلَيَرينَّ النبي من أثري ما يرضي الله ويرضيه.

ولما التقى الجمعان اشتدت وطأة المشركين على المسلمين، فدبَّ فيهم الوهن والفشل، وجعل الناس يتفرقون عن النبي، وكادت تحلُّ بنا الهزيمة المنكرة. فإذا بالرسول، فداه أبي وأمي، يثبت في قلب المعركة على بغلته الشهباء كأنه الطَّود الراسخ ويجرد سيفه ويجالد عن نفسه وعمن حوله كأنه الليث عاديًا. عند ذلك وثبتُ عن فرسي، وكسرت غمد سيفي، والله يعلم أني أُريد الموت دون رسول الله. وأخذ عمي العباس بلجام بَغلةِ النبي ووقف بجانبه ...وأخذت أنا مكاني من الجانب الآخر، وفي يميني سيفي أذود به عن رسول الله، أما شمالي فكانت ممسكة بركابه. فلما نظر النبي إلى حسن بلائي قال لعمي العباس: من هذا؟ فقال: هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فارضَ عنه يا رسول الله، فقال: قد فعلت وغفر الله له كل عداوة عادانيها، فاستطار فؤادي فرحًا برضى الرسول عني وقبلت رجله في الركاب، ثم التفت إلي فقال: «**أخي، لعمري، تقدم فضارب**». ألهبت كلمات الرسول صلوات الله عليه حماستي، فحملت على المشركين حملةً أزالتهم عن مواضعهم وحمل معي المسلمون حتى طردناهم قدر فرسخ، وفرَّقناهم في كل وجه.

ظل أبو سفيان منذ «حنين» ينعم بجميل رضى النبي عنه ويسعد بكريم صُحبته، ولكنه لم يرفع نظره إليه أبدًا، ولم يثبت بصره في وجهه حياءً منه وخجلًا من ماضيه معه .وقد جعل أبو سفيان يعضُّ بنان الندم على الأيام السود التي قضاها في الجاهلية محجوبًا عن نور الله، محرومًا من كتابه، فأكبَّ على القرآن ليله ونهاره يتلوا آياته، ويتفقّه في أحكامه ويتملَّى من عظاته، وأعرض عن الدنيا وزهرتِها، وأقبل على الله بكل جارحةٍ من جوارحه حتى إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رآه ذات مرةٍ يدخل المسجد فقال لعائشة رضي الله عنها: «**أتدرينَ من هذا يا عائشة؟**» قالت: لا، يا رسول الله، قال: **إنه ابنُ عمي أبو سفيان بنُ الحارث، انظري إنه أوَّل من يدخلُ المسجد وآخر من يخرج منه، ولا يفارق بصره شِراكَ نَعلِه**».

ولما لحق الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى حزن عليه أبو سفيان حُزن الأم على وحيدها، وبكاه بكاءَ الحبيب على حبيبه، ورثاه بقصيدة من غُرَرِ المراثي تفيضُ لوعةً وشجونًا، وتذوب حسرةً وأنينًا .وفي خلافة الفاروق رضي الله عنه أَحسَّ أبو سفيان بِدنوِّ أجله، فحفر لنفسه قَبرَه بيده. ولم يمضِ على ذلك غير ثلاثة أيام حتى حضرته الوفاة كأنَّه مع الموت على ميعاد، فالتفت إلى زوجته وأولاده وأهلِهِ وقال: لا تبكوا عليَّ فوالله ما تعلَّقتُ بخطيئةٍ منذ أسلمت، ثم فاضت روحه الطاهرة، فصلَّى عليه الفاروق رضوان الله عليه وحزِن لفقده هو والصحابةُ الكرام، وعَدُّوا موته رُزءًا جلَلًا حَلَّ بالإسلام وأهله. ■

تحذيرات ومخاوف من عنف يسبق الانتخابات النصفية الأمريكية

فيما تعد الانتخابات النصفية استفتاءً على شعبية الرئيس الجالس في البيت الأبيض، حذَّر مشرعون ومسؤولون في الولايات المتحدة من تجدُّد أعمال العنف، قبل شهر من الانتخابات النصفية الأمريكية. وقالت السيناتورة الجمهورية سوزان كولينز، في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر، في أحد أعمدة صحيفة نيويورك تايمز: «لن أفاجأ إذا قتل سيناتور أو نائب». ونشر آدم كينزينغر، عضو مجلس النواب الأمريكي المناهض للرئيس السابق دونالد ترامب مقتطفات صوتية من التهديدات التي تلقَّاها: «نحن نعلم مكان عائلتك، وسنلاحقك أيها... الصغير... سنقبض على زوجتك وأطفالك». وكذلك اتصلت التقدمية المنتخبة براميلا جايابال برقم الطوارئ «٩١١»، عندما وقف رجل أمام منزلها عدة مرات، مطلقًا الشتائم وهو يحمل مسدسًا على خصره. واضطرت النائبة الجمهورية ليز تشيني، التي تبرَّأ منها حزبها لانضمامها إلى لجنة برلمانية تحقق مع دونالد ترامب، إلى التخلي عن تنظيم أي تجمع انتخابي كبير في ولايتها وايومنغ بسبب تلقيها تهديدات بالقتل. وقد تواجه البلاد نقصًا في منظمي الانتخابات خلال الانتخابات التشريعية في تشرين الثاني/نوفمبر طالما استمروا في تلقي مثل هذه التهديدات. وبحسب شرطة العاصمة، المسؤولة عن حماية أعضاء الكونغرس المنتخبين، فقد تضاعفت التهديدات وارتفعت من ٣٩٣٩ تهديدًا في عام ٢٠١٧م إلى ٩٦٢٥ تهديدًا في عام ٢٠٢١م. وعبَّر الخبير الأمني ك. كامبل: عن قلقه بشكل خاص من الهجمات التي تشنها الجماعات اليمينية المتطرفة، بما في ذلك جماعة «أوث كيبرز» (حفظة القسم) التي يخضع العديد من أعضائها للمحاكمة بتهمة التحريض على الفتنة وحمل السلاح لمهاجمة مبنى الكابيتول من أجل إبقاء ترامب على رأس السلطة، في السادس من كانون الثاني/ يناير ٢٠٢١م. ووفقًا للخبيرة السياسية رايتشل كلاينفيلد، فإن موسم انتخابات ٢٠٢٠م، الذي تواجه خلاله جو بايدن ودونالد ترامب، مثّل أيضًا منعطفًا دفع بعض الجمهوريين إلى «قبول العنف كأداة سياسية». وفي خضم الحملة الانتخابية للانتخابات النصفية، يمكن ملاحظة إعلانات انتخابية لبعض المرشحين تظهر مرشحًا محافظًا بمسدس أو بندقية هجومية. وفي بعض هذه الإعلانات، يستمتع المرشحون الجمهوريون بتوجيه السلاح باتجاه صور أو دُمى تمثل خصومهم الديمقراطيين أو حتى الرئيس جو بايدن. وحذرت رايتشل كلاينفيلد قبل بضعة أشهر خلال جلسة استماع أمام الكونغرس الأمريكي قائلة: «لقد أصبحت المعتقدات والأنشطة العنيفة أمرًا شائعًا».

الوعي: إن ما ذكر من وجود انقسام مجتمعي عميق في أمريكا هو أمر يخرج إلى العلن شيئًا فشيئًا، وبات يشكل مصدر قلق على المصير، صحيح أنه لا يمكن توقع موعد انفجاره؛ ولكنه يسير سريعًا بهذا الاتجاه، وهو لا يعني لزومًا إلا انهيار الإمبراطورية الأمريكية، وبالتالي انهيار النظام الدولي الذي تقوده.

إغناتيوس: لم يواجه نظام خامنئي حركة احتجاج هزت كيانه كهذه

نشرت صحيفة «واشنطن بوست» مقالًا للكاتب ديفيد إغناتيوس قال فيه إنه «بينما يَحيِّي العالم شجاعة أوكرانيا، دعونا نحَيّي أيضًا الحركة الاحتجاجية التي تقودها النساء في إيران والتي تهزُّ حكومة رجال الدين هناك. هذه الانتفاضة مذهلة. **إنها تستحق دعمًا أمريكيًّا وعالميًّا نشطًا**». وذكر أن هذه الحركة «تضم شبانًا، معظمهم من النساء، غاضبين من مقتل الشابة مهسا أميني، البالغة من العمر ٢٢ عامًا... تبدو احتجاجاتهم عفوية وبلا قيادة... لا توجد بنية تحتية كي تقوم الفرق الإيرانية بتفكيكها... مشتتة على نطاق واسع، مع احتجاجات في ١٠٥ مدن في جميع المحافظات الإيرانية البالغ عددها ٣١، وفقًا لتقرير نشرته هذا الأسبوع وكالة أنباء نشطاء حقوق الإنسان (HRANA) متنوعة عرقيًّا حيث يحتشد الآلاف من الفرس الشيعة لدعم قضية أميني، وهي كردية سنية. أخيرًا، والأهم من ذلك، هناك إشارات مبكرة على أن الحركة تنتقل من الطلاب في الشوارع إلى القطاعات التي تدير إيران: عمال البتروكيماويات وسائقو الشاحنات والتجار في البازار»... وأضاف: «يحاول النظام أن يقلل من شأن هذه الحركة، لكن الأرقام تقول غير ذلك. وذكر أن «التغيير في الأجواء هذه الأيام يتم عكس قوانين الجاذبية: أوكرانيا الصغيرة تسخر من الدب الروسي في ساحة المعركة. الإسرائيليون والعرب يتسابقون للقيام بأعمال تجارية تحت راية اتفاقيات أبراهام، التي تعكس قطيعة عميقة مع الماضي. والسعودية، رغم كل أفعالها الفظيعة في عهد ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، تتخذ خطوات مفاجئة تجاه حقوق المرأة وتحرير المجتمع». ثم ذكر أن «**الحركة الإيرانية لا تزال بحاجة إلى أوكسجين الدعم الشعبي من الولايات المتحدة والعالم**. لقد حظيت بتغطية إعلامية قليلة نسبيًّا، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى عدم إمكانية وصول وسائل الإعلام المستقلة إلى إيران وإغلاقها الإنترنت... وأن الإيرانيين يحتاجون إلى مستقبلات الأطباق لالتقاط الإشارات والمجموعات لنشرها. ولحسن الحظ أن هناك الكثير من الأراضي الحدودية التي يسهل اختراقها لنقل المعدات، من باكستان وتركيا والكويت والعراق وأذربيجان وحتى الخليج نفسه».

الوعي: إن ما يزعج في هذا المقال هو ما يحمله من نفس استعماري حيث يبيح لدول الغرب الاستعمارية أن تتدخل في الثورات وأن تمد لها شريان الحياة حتى إذا ما نجحت بالوصول إلى الحكم كان نجاحًا لها... وإننا لنسأل إغناتيوس هذا الذي يدعو أمريكا إلى التدخل لمصلحة الثورة ضد النظام الإيراني الذي يصفه بالقمعي، وهل النظام الإيراني غير تابع للسياسة الأمريكية، وغير محمي منها؟ وهل النظام الإيراني لا تسير سياسته بحسب المصالح الأمريكية في المنطقة: في إفغانستان وفي العراق وفي سوريا وفي لبنان وفي اليمن... إذا كان لا يعرف ذلك فليس أهلًا لأن يكتب ولا لأن يُقرأ له، وإن كان يعرف، وهو يعرف، فليس مقاله وقلمه إلا أداة ومن أدوات الاستعمار الغربي البغيض. وليعلم أن الأمة بالمرصاد لكل ما يكاد لها وما يقال. وأن لكل أمة أجل.